
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
الأربعة الكبار
118
د. نبيل فاروق
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل

سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

118

الأربعة الكبار

- من هم عمالقة الاقتصاد الأربعة، الذين يمولون مشروع السنيورا النووى ؟!
- أين اختفت السنيورا ؟! وهل ستعيد بناء مشروعها النووى مرة أخرى ؟!
- ترى كيف يواجه (أدهم صبرى) الموقف هذه المرة، وكيف يتعامل مع (الأربعة الكبار) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل).



العدد القادم : فوق القمة

رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ - الشـــــك..

انخفضت درجات الحرارة إلى حد مخيف، فى منطقة (سيبيريا)(*)، وامتدّت ثلوجها إلى مدى البصر، وسط صمت وسكون شاملين، يوحيان للناظر بأنه يطلّ على عالم آخر، أو يراقب مشهدًا جامدًا، إلا من بقايا الأغصان المتجمّدة، التى تدفعها الرياح أمامها، نحو الأفق البعيد، الذى تكاثفت عنده غيوم داكنة، زادت المشهد قتامة ومهابة.

ثم ارتفع صوت من بعيد.

صوت محركات تقترب، وتشقّ سكون المكان، قبل أن تظهر أربع سيارات عسكرية روسية، تقدّمت

(*) سيبيريا: الاسم الشائع للجزء الآسيوى من (روسيا)، أو الاتحاد السوفيتى السابق، تحتلّ الثلث الشمالى من آسيا، وتمتدّ من جبال الأورال حتى المحيط الهادى، ومن المحيط القطبى حتى (منغوليا) و(منشوريا)، ولقد أدّت المشروعات الصناعية فيها إلى أن أصبحت عاملاً مهمًا فى الاقتصاد الروسى، وهى غنية بالذهب والمعادن، وبها مشروعات للطرق وسكك حديدية.

نحو منطقة جليدية منبسطة ، ثم أشار راكب السيارة الأولى إشارة صارمة ، فتوقفت السيارات الأخرى على الفور ، وألقى هو نظرة على ساعته ، قبل أن يقول ، فى صرامة عصبية :

ـ إنها الرابعة تمامًا ، والطائرة لم تظهر بعد .

غمغم مساعده :

ـ المناخ غير ملائم ، ومن الطبيعى أن تتأخر الطائرة قليلاً .

همهم الجنرال (ميلوسكى) ، قائد منطقة (سيبيريا) بعبارة ساخطة غير مفهومة ، ولكنه ظلّ فى مقعده ، يراقب السماء الملبّدة بالغيوم فى اهتمام مشوب بالقلق ، وهو ينظر إلى ساعته كل لحظة وأخرى ، حتى بلغ مسامعه بغتة أزيز طائرة تقترب من بعيد ، فاعتدل جالسًا ، وتطلّع إلى التلال البعيدة ، المغطّاة بالجليد ، و ...

وفجأة ، ظهرت الطائرة المنتظرة .

برزت بغتة ، من خلف التلال ، وهى تحلّق على ارتفاع منخفض ، يوحى بأن وصولها إلى هذا المكان ، لم يكن يحتمى بالشرعية اللازمة ، فى مثل هذه

الأمور ، وخاصة عندما انتفض جسد الجنرال (ميلوسكى) مع وصولها ، وهتف فى توتر بالغ :

ـ أخيرًا .

وبإشارة عصبية من يده ، تحرّك رجاله فى سرعة ، فغادروا سياراتهم العسكرية ، واصطفوا فى صفين متوازيين ، وكأنهم يصنعون بأجسادهم حدودًا لممر هبوط وهمى ، على سطح الجليد .

وفى مهارة واضحة ، انخفض الطيّار أكثر وأكثر بالطائرة ، وهو يتجه بها نحو ذلك الممر البشرى ، وهبطت إطاراتها ، وهى ترتفع بمقدّمتها ، لتهبط فى نعومة ، على السطح الجليدى ، وتندفع فوقه عدة أمتار طويلة ، قبل أن تتوقّف تمامًا .

وبإشارة أخرى من الجنرال (ميلوسكى) ، تخلّى الجنود عن مواقعهم ، وأسرعوا إلى الطائرة ، التى انفتح بابها ، وهبط منها سلم صغير ، وصنعوا من أنفسهم طاقم استقبال رسميًا ، كما لو أن القادم أحد رؤساء الجمهوريات الصديقة ، أو ملكًا من الملوك ..

وفى لهفة ، اندفع الجنرال نفسه نحو الطائرة ، وتطلّع إلى بابها ، الذى ظهرت عنده امرأة شقراء فاتنة ، جعلته يطلق شهقة انبهار ، هاتفًا :

- سيّدتى ؟!

هبطت تلك الفاتنة ، فى درجات سلم الطائرة ، فى بطء مثير ، ونفثت دخان سيجارتها الطويلة ، وهى تقول :

- السنيورا يا جنرال (ميلوسكى) .. هذا هو اللقب ، الذى ستخاطبنى به .. السنيورا .

كانت ترتدى معطفًا ثمينًا من فراء المنك ، يساوى ثمنه راتبه ، منذ التحق بالجيش السوفيتى ، وحتى صار جنرالاً روسيًا ، وحول عنقها قلادة من الماس ، تتألق كألف شمس ، على الرغم من السحب الداكنة ، التى تغمر السماء ، كما أن جمالها المبهر كان يغشى عيون الجميع ، على نحو شديد الوضوح ، مما جعلها تبتسم ابتسامة واثقة ، وهى تمدّ يدها داخل قفاز أنيق أسود ، إلى الجنرال نفسه ، ليعاونها على الهبوط ، فأسرع الرجل يلتقط يدها فى لهفة ، وهو يغمغم مبهورًا :

- السنيورا ؟! الواقع أن هذا اللقب غير مألوف هنا يا سيّدتى .

أجابته فى لهجة آمرة ، وبلغة روسية سليمة :

- حاول أن تعتاده يا عزيزى الجنرال ، فلن يخاطبنى أحد بسواه ، ما دمت هنا .

غمغم مبهورًا :

- سأحاول يا سيّدتى .. احم .. أعنى يا سنيورا .. سأحاول .

قادها إلى سيارته ، وهو يسألها فى اهتمام :

- هل حضرت وحدك ؟! ألا يوجد أحد معك فى الطائرة ؟!

رمقته بنظرة باردة ، فاستطرد فى سرعة :

- لقد أخبرونى أنه سيكون معك بعض الرجال ، وأربعة من العلماء .. أليس كذلك ؟!

لوّحت بكفها فى أناقة ، قائلة :

- فيما بعد .. سيصل الجميع فيما بعد .

ثم رمقته بنظرة جانبية أخرى ، قبل أن تستطرد :

- عندما أطمئن إلى أن كل شىء على ما يرام .

أشار لسائق سيارته بالانطلاق ، وهو يقول :

- آه .. كل شىء على ما يرام بالتأكيد يا سيد .. احم .. يا سنيورا .. لقد تفقّدت كل شىء بنفسى ، قبل أن نأتى إلى هنا .

تطلَّعت عَبْر النافذة ، لتتأكَّد من أن كل السيارات الأخرى تتبعها ، وهى تسأله :

ـ أكل شىء هناك يعمل بكفاءة ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ سيدهشك هذا حقًّا يا سنيورا ، فعلى الرغم من أن المكان مهجور ، منذ أكثر من عام كامل ، إلا أن كل شىء ما زال يعمل بكفاءة تامة ، كما لو أن المكان لم يتوقَّف عن العمل لحظة واحدة .

سألته ، وهى تطفئ سيجارتها :

ـ وماذا عن العاملين فيه ؟!

لوَّح بيده ، قائلاً :

ـ السيِّد (مالينوفيتشى) تولَّى هذا الأمر بنفسه ، ولم يكن هذا صعبًا فى الواقع ، فبعد الاتفاقيات الأمريكية الروسية ، صار معظم العاملين ، فى مجال الطاقة الذرية ، فى كشف العاطلين ، وبعضهم ما زال يتسوَّل لقمة العيش ، فى ميادين (موسكو) .

أومأت برأسها متفهِّمة ، وقالت :

ـ عظيم .. عظيم .

ثم سألته فى اهتمام بالغ :

ـ وماذا عن السرية ؟!

كان وكأنه ينتظر هذا السؤال بالذات ، فلم يكد يسمعه ، حتى ملأ صدره بالهواء ، والتفت إليها بكيانه كله ، مجيبًا :

ـ بعد عام كامل ، ومع اهتمام الجميع ، وانشغالهم بالقضايا الاقتصادية ، وانتهاء الحرب الباردة ، بين الأمريكيين وبيننا ، لم يعد أحد يذكر هذا المكان ، ثم إننى قائد منطقة (سيبيريا) كلها ، والمسئول الأوَّل والوحيد عن أمنها ، من المناجم وغابات الأخشاب ، وحتى معتقلها الشهير ، ومادمت أعمل إلى جوارك ، فيمكنك نسيان مسألة الأمن هذه تمامًا .

تطلَّعت إليه بضع لحظات فى صمت ، قبل أن تقول فى هدوء :

ـ هذا عظيم بالتأكيد يا عزيزى الجنرال ، إلا أنه لا يناسب أسلوبى إلى حد ما ، فأنا أميل إلى إحاطة نفسى بنظام أمنى خاص ، من ابتكارى شخصيًّا .

انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يقول :

ـ لقد حذَّرنى السيِّد (مالينوفيتشى) من هذا .

أشعلت سيجارة جديدة ، وهى تقول :

- كان ينبغى أن تستمع لتحذيره .

مطّ شفتيه ، مغمغمًا :

- لقد فعلت .

ثم لوّح بكفه ، قائلاً :

- السيدُ (مالينوفيتشى) أمر بإحضار كل ما تطلبينه إلى المكان ، وتنفيذ كل أوامرك الخاصة بالأمن .

وأطلق زفرة حارة ، قبل أن يضيف فى حدة :

- وأنا أعتبر هذا مهينًا لى .

رفعت يدها ، تتحسّس شعره الأشيب فى رفق ، وهى تمنحه ابتسامة ساحرة ، قائلة :

- هذا لا ينهى دورك أبدًا يا عزيزى الجنرال ، فما زلت أحتاج إليك ، لتأمين مكانى الجديد .

انتفض جسده فى حماس ، وهو يهتف :

- كلى رهن إشارتك يا سنيورا .

ابتسمت بثقة ، قائلة :

- أعلم هذا يا عزيزى الجنرال .. أعلم هذا .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى قال السائق فى احترام :

- وصلنا يا سيّدى الجنرال .

استدارت السنيورا فى سرعة ، لتلقى نظرة على

المكان ، الذى بلغته السيارة ، وتألّقت عيناها ، وهى تقول :

- رائع ..

فأمامهم مباشرة ، وعلى مساحة كبيرة ، كان يمتدّ ذلك المكان ، الذى سعت إليه ، من (أمريكا الجنوبية) إلى (سيبيريا) مباشرة ..

المفاعل ..

مفاعل نووى روسى ..

متكامل ..

★ ★ ★

« هل وصل العميد (أدهم) بعد .. »

استقبل رئيس طاقم الأمن ، فى مبنى المخابرات العامة ، هذا النداء ، من مدير الجهاز شخصيًا ، فأسرع يضغط زر جهاز الاتصال الداخلى المحدود ، وهو يجيب :

- سيادة العميد (أدهم) هنا ، منذ السادسة صباحًا يا سيّدى .

أتاه صوت المدير ، وهو يقول فى دهشة :

- السادسة صباحًا ؟! وما الذى يفعله هنا منذ السادسة صباحًا ؟!

أجابه رئيس طاقم الأمن على الفور :

- إنه فى حجرة كمبيوتر المعلومات يا سيادة المدير .. يبدو أن لديه ما يبحث عنه هناك .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، عندما استمع إلى العبارة ، وانقبضت أصابعه على نحو متوتر ، وهو يديرها فى رأسه ..

إنه يعلم جيدًا أن (أدهم صبرى) ، بحكم رتبته ومكانته ، يمتلك شفرة دخول مفتوحة ، إلى مركز المعلومات العامة السرية ، ويمكنه الدخول إلى هناك فى أية لحظة ، من الليل والنهار ، والحصول على كل ما يبتغيه من معلومات ، مهما بلغت أهميتها أو سريتها ..

ويعلم أيضًا أن قضية السنيورا لم يتمّ حسمها بعد ، ما دامت قد نجحت فى الفرار من (بوليفيا) ، مع علماء الطاقة الذرية الأربعة ، دون أن تترك خلفها أدنى أثر(*) ..

ولكن البحث عن معلومات جديدة ، خاصة بها ، ما زال مستمرًا حتى الآن ..

(*) راجع قصة (عمالقة الجبال) .. المغامرة رقم (١١٧) .

فما الذى يبحث عنه (أدهم) ، فى هذه الساعة المبكرة ؟!

دار السؤال فى رأسه عدة مرات ، وتحركت يده بحركة تلقائية ؛ لالتقاط سمّاعة الهاتف الداخلى ، حتى يمكنه الاتصال بـ (أدهم) ، فى مركز المعلومات ..

إلا أنها لم تكمل طريقها ..

لقد توقّفت فى منتصفه بغتة ، والمدير يعيد دراسة الأمر فى رأسه مرات ومرات ، ثم لم يلبث أن نهض من مقعده ، وغادر حجرة مكتبه ، واتجه مباشرة إلى مركز المعلومات ..

وعندما بلغه ، عاوده تردّده لحظة ، قبل أن يحسم أمره ، ويدس بطاقته الممغنطة الخاصة ، فى تجويف مجاور للباب ، ثم يسحبها ، ويدير الرتاج فى خفة ، ويدفع الباب فى هدوء ، دون أن يصدر عنه أدنى صوت ..

وأمام عينيه مباشرة ، كان يجلس (أدهم) ..

كان يوليه ظهره ، وهو منهمك فى مراجعة بعض المعلومات ، على شاشة الكمبيوتر ، وإلى جواره ورقة صغيرة ، يدوّن فيها بعض الملاحظات ، فى اهتمام بالغ ..

وعلى الرغم من أن المدير قد دلف إلى الحجرة فى خفة وحذر شديدين ..

ومن أنه لم يُصدر أدنى صوت بالفعل ..

إلا أن العجيب أن (أدهم) قد اعتدل فى مجلسه بغتة ، والتفت إليه فى حركة سريعة ، قبل أن يسترخى فى مقعده ، قائلاً :

- صباح الخير يا سيادة المدير .

أجابه المدير فى سرعة ، وبصوت لا يخلو من الدهشة والإعجاب :

- صباح الخير يا (أدهم) .. كيف شعرت بدخولى ؟!

صمت (أدهم) لثانية واحدة أو أقل ، قبل أن يهزّ كتفيه ، قائلاً :

- لست أدرى .

والعجيب أن عبارته كانت صادقة تمامًا ، ولا تحوى أدنى قدر من المجاملة أو التواضع ..

إنه حقًا لا يدرى ..

شىء ما فى أعماقه شحذ حواسه بغتة ، وجعله يشعر أن شخصًا ما يأتى من خلفه ..

إنذار بالخطر ، انبعث فى كيانه ، من مصدر مجهول ..

وهو لا يدرى بالفعل أين يكمن هذا الشىء ..

ما كنهه ؟!

ما الذى أشعله ؟!

أهو شىء سمعه ، أو شعر به ، أو حتى انتبه إليه عقله الباطن ؟!

أم أنها مجرّد غريزة ؟!

غريزة نمت مع القتال ، وكثرة مواجهة الخطر ..

إنه لا يدرى ..

ولا أحد يدرى ..

إنه ذلك الشىء ، الذى يميّز المقاتل ..

فحسب ..

ومن حسن الحظ أن المدير ، كضابط مخابرات قديم محنّك ، يدرك هذا الأمر جيّدًا ، لذا فهو لم يتوقّف عنده طويلاً ، وهو يسأل (أدهم) :

- ما الذى تفعله هنا ؛ منذ السادسة صباحًا ؟! هل استيقظت مبكرًا ولم تجد ما تفعله ؟!

ارتسمت ابتسامة حزينة ، على شفتى (أدهم) ، وهو يجيب :

- إننى لم أنم بعد .

ارتفع حاجبا المدير فى دهشة ، وأطلت من عينيه نظرة متسائلة ، لم تكد تكتمل ، حتى تابع (أدهم) :

ـ لقد ذهبت أمس لزيارة (جيهان) فى المستشفى .

غمغم المدير ، وهو يجلس إلى جواره :

ـ كيف حالها الآن ؟!

تنهد (أدهم) فى حرارة ، وهز رأسه ، وهو يجيب فى أسى :

ـ لقد استعادت وعيها ، وإدراكها بما حولها ، وعرفت ما أصابها جيدًا ، ومعنوياتها منخفضة إلى أقصى حد ، حتى إنها ترفض مقابلة أحد .. حتى أنا .

قال المدير فى تعاطف :

ـ إننى أقدر آلامها بالتأكيد ، فشخصية جمة النشاط مثلها ، لا يمكنها أن تتقبل فى سهولة عدم قدرتها على السير ثانية ، ولكن ينبغى أن تنظر إلى الأمور من الجانب الحسن ، أو تتطلع إلى نصف الكوب الممتلئ كما يقولون ؛ فالرصاصات التى أصابتها ، كان يمكن أن تقتلها .

تنهد (أدهم) ثانية ، وقال :

ـ أعتقد أنه بالنسبة لشخصية مثل (جيهان) ، فهى تفضل الموت .

هتف المدير مستنكرًا :

ـ وماذا عن الإيمان بالله (سبحانه وتعالى) ومشيئته ؟! إن هذا أحد المواقف ، التى يبرز فيها إيمان المرء ، عندما يواجه شرور الدنيا وأزماتها .. عندئذ ينبغى أن يؤكد إيمانه برحمة الله (عز وجل) وحكمته ، وبأنه لا يفعل إلا ما فيه الخير .

أومأ (أدهم) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، وتابع :

ـ المهم أننى ذهبت لزيارتها أمس ، وأدركت كم تعانى ، بسبب ما أصابها ، ونحن نحاول منع تلك السنيورا ، من إكمال خطتها الشيطانية ، للسيطرة على العالم ، وإخضاعه لإدارتها المجنونة .

وصمت لحظة ، قبل أن يكمل فى حزم :

ـ وعلى مقعد صغير ، أمام حجرة (جيهان) ، قضيت ليلتى كلها أفكر .. لقد نجحنا فى منع المشروع النووى الأول لتلك السنيورا ، ولكننا فشلنا فى إلقاء القبض عليها أو تدميرها ، أو حتى فى استعادة العلماء الأربعة ، الذين اختطفتهم ، وأجبرتهم على

معاونتها ، فى مشروعها الرهيب ، وهذا يعنى أنها ستواصل عملها ، وستمضى فى مشروعها ، فى مكان ما ، لم يمكننا التوصل إليه بعد ، وربما لا يمكننا هذا ، حتى يتمّ المشروع بالفعل ، وتهدد قنابلها الذرية العالم أجمع .

أجابه المدير فى لهجة حازمة ، صارمة :

ـ رجالنا يبذلون قصارى جهدهم يا (أدهم) ، فى كل قارات العالم .

أومأ (أدهم) برأسه ، قائلاً :

ـ أعلم هذا يا سيدى .. أعلمه جيدًا ، ولكن تلك العينة تجيد اختيار أوكارها بمنتهى الدقة ، وبعد ما حدث فى (بوليفيا) ، ستحسن اختيار الوكر القادم بالتأكيد ، حتى إن احتمال عثورنا عليه سينخفض حتمًا ، إلى ما يقرب من واحد فى كل مائة ألف .

اعتدل المدير فى مجلسه ، وسأله فى اهتمام بالغ :

ـ ماذا تقترح إذن ؟!

أدار (أدهم) سبابته وإبهامه ، وفرد أصابعه الثلاثة الأخرى ، وهو يقول فى حزم :

ـ ضربة مفاجئة لمصادر التمويل .

انعقد حاجبا المدير فى شدة ، و (أدهم) يتابع :

ـ من الواضح أن كل مشروعات السنيورا تحتاج إلى تمويل ضخم للغاية ؛ فهى تقيم منشآت بالملايين ، وتنفق على جيش من الرجال ، بالإضافة إلى مئات الرشاوى ، والهدايا ، التى تبتاع بها المسئولين وذوى النفوس الضعيفة فى كل دولة تستقر فيها .. والشىء الوحيد ، الذى أعتبره فوزًا ساحقًا ، فى عمليتنا الأخيرة ، هو أن فحص كمبيوتر الأمن للسنيورا ، قد أرشدنا إلى أنها ترتبط بأربعة من عمالقة الاقتصاد فى العالم .. (سام أوكونور) الأمريكى ، و(دوماسومى) اليابانى ، و(جون كريستوفرسن) الأسترالى ، و(إيفان مالينوفيتشى) الروسى(*) ، ولسنا بحاجة إلى الكثير من الذكاء ، لندرك أن هؤلاء الأربعة هم مصدر تمويلها الرئيسى ، ولقد قضيت الساعتين الماضيتين كلها هنا ، أجمع كل ما لدينا من معلومات عنهم ، وكل ما حصلت عليه

(*) بعد انهيار الاتحاد السوفيتى السابق ، وسياسة الانفتاح الروسية ، نشأ عدد من المليونيرات فى (روسيا) ، أمكنهم استغلال الهبوط الاقتصادى ، لصنع ثروات هائلة ، على حساب الشعب الروسى .

يشير إلى أنهم من ذلك الطراز الأنانى المفترس ، من رجال المال والأعمال ، فهم يسعون دومًا لتنمية ثرواتهم ، التى تجاوزت المليارات بالفعل ، دون الاهتمام بما يمكن أن يفعله هذا بالآخرين .. إنهم يسحقون كل ما تبلغه أقدامهم ، فى سبيل المزيد والمزيد من الثراء ، دون شفقة أو رحمة ، وهذه السمات تتفق مع طبيعة السنيورا ، وطبيعة كل من يتعاونون معها .

تنهّد المدير ، وقال :

- (أدهم) .. فيم تفكر بالضبط ؟!

اعتدل (أدهم) فى مجلسه بدوره ، وهو يقول فى حماس :

- صحيح أن الأمثال القديمة تقول : إن القضاء على الأفعى يحتاج إلى سحق رأسها ، ولكننا لا نستطيع العثور على رأس الأفعى ، فى الوقت الحالى ، فلِمَ لا نقطع عنها مصادر الغذاء ، حتى تموت جوعًا ؟!

تراجع المدير فى مقعده فى بطء ، قائلاً :

- هل تفكر فى مهاجمة عمالقة الاقتصاد الأربعة ؟!

أشار (أدهم) بسبابته فى حماس ، قائلاً :

- بالضبط .. إنهم يكتفون بتمويل مشاريع السنيورا الشيطانية ، دون أن يتدخلوا فى عملياتها شخصيًا ، متصورين أن هذا يجعلهم بمنأى عن الخطر ، ويحافظ على أمنهم وسلامتهم ، بحيث يمكنهم أن يجنوا الربح ، دون الانغماس فى الخسارة .

ثم مال نحو المدير ، مستطردًا فى حزم :

- دعنا نثبت لهم أن نظريتهم هذه خاطئة تمامًا .

انعقد حاجبا المدير أكثر وأكثر ، و (أدهم) يتابع :

- دعنا نريهم أن من يضع يده فى عش الدبابير ، يتعرَّض للدغاتها حتمًا .. فلنوجِّه إلى كل منهم ضربة عنيفة ، تدير رأسه ، وتربكه ، وتبث فى قلبه الرعب والفزع ، وتجعله يدرك أنه بتعاونه مع السنيورا ، قد فتح على نفسه أبواب الجحيم ، وأن النيران حتمًا ستلفحه ، مهما اتخذ من الاحتياطات .

سأله المدير بغتة فى صرامة :

- (أدهم) .. هل تفكر فى تحطيم هؤلاء الأربعة الكبار ؟!

اعتدل (أدهم) ، وشدّ قامته ، واكتسب صوته صرامة مخيفة ، وهو يجيب :

- بالضبط .

وانعقد حاجباه بدوره ، وهو يضيف بنفس اللهجة :

ـ هذا هو الحل الوحيد ، الذى يضع الأمور كلها فى نصابها الصحيح .. أن ينهار عمالقة الاقتصاد الأربعة ، الذين نذروا حياتهم للشر ، حتى تفقد السنيورا مصادر تمويلها ، وينهار كيانها الداخلى كله .

قال المدير فى صرامة :

ـ أتدرك ما يمكن أن يؤدى إليه هذا يا (أدهم) ؟!

ظلّ (أدهم) صامتًا ، جامد الملامح ، فتابع المدير فى حدة :

ـ عندما ينهار أربعة من عمالقة الاقتصاد العالمى ، فى فترات متقاربة ، وفى ثلاث قارات مختلفة ، يمكن أن يؤدى هذا إلى انهيار اقتصادى شامل ، خاصة وأن ثروات هؤلاء الأربعة تساوى ميزانية الولايات المتحدة الأمريكية كلها .. ستتحطم صناعات كبرى ، وتنهار مؤسسات عملاقة ، وتنخفض أسعار الأسهم إلى حدها الأدنى ، وربما يؤدى هذا إلى سقوط البورصة أيضًا ، فى عدد من الدول الكبرى(*) ..

(*) البورصة : سوق يتم فيه بيع وشراء وتبادل الأسهم والمستندات ، والأوراق المالية المختلفة .

قال (أدهم) فى بطء :

ـ الأمر يحتاج إلى خبير فى الاقتصاد ، لتقدير عواقب الأمر يا سيدى .

قال المدير فى صرامة :

ـ فلنستعن به إذن .

تابع (أدهم) ، وكأنه لم يسمع تعليق المدير :

ـ وإلى اجتماعات مطولة ، ومناقشات ، ودراسات ، ووقت طويل ، تحسن السنيورا استغلاله ، لتقوية مركزها ، ودعم موقفها ، والمضى قدمًا فى مشروعها النووى الرهيب .

انعقد حاجبا المدير فى غضب ، وهو يقول :

ـ (ن ـ ١) .. هل تنتقد نظم العمل ، فى المخابرات العامة ؟!

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا فى بطء ، وهو يجيب فى صدق :

ـ مطلقًا يا سيدى .. إننى أدرك جيدًا أهمية وخطورة هذه الإجراءات ، وحتمية المرور بها ، تجنبًا للوقوع فى أية أخطاء ، يمكن أن تعرض أمن الوطن وسلامته للخطر .

ثم عاد يميل نحوه ، مستطردًا :

ـ ولكننى كنت أفكِّر فى استغلال ذلك الوقت ، الذى ستستغرقه المناقشات ، بحيث يمكننا التحرُّك ، فور اتخاذ القرار .

بدت حيرة حذرة على وجه المدير ، وهو يسأله :

ـ ماذا تعنى يا (ن ـ ١) ؟!

مال (أدهم) نحوه أكثر ، وهو يبتسم ابتسامة غامضة ، قائلاً :

ـ سأخبرك يا سيِّدى .. استمع إلىَّ جيِّدًا .

اقترب منه المدير ، وأنصت جيِّدًا ..

وراح (أدهم) يشرح خطته ..

وبكل التفاصيل ..

* * *

أشارت عقارب الساعة إلى العاشرة والربع صباحًا ، عندما انطلق رنين الهاتف ، فى منزل (قدرى) ، خبير التزييف والتزوير الأوَّل ، فى المخابرات العلمية المصرية .. فهبَّ من فراشه منزعجًا ، واختطف سمَّاعة الهاتف ، وسعل مرتين على الأقل ، قبل أن يقول :

ـ هنا (قدرى) .. من المتحدِّث ؟!

أتاه صوت هادئ ، يقول :

ـ هل استيقظت الآن فحسب ؟!

هتف (قدرى) فى سعادة :

ـ (أدهم) ؟! يا لها من مفاجأة ! كم يسعدنى اتصالك ، فى هذا الصباح .

أجابه (أدهم) :

ـ صباح ؟! إنه الضحى يا صديقى .. هل قضيت ليلة مرهقة أم ماذا ؟!

حدَّق (قدرى) فى المنبِّه المجاور لفراشه ، وارتفع حاجباه فى دهشة بالغة ، عندما رأى عقاربه تشير إلى ذلك الوقت ، فهتف :

ـ ربَّاه ! كيف استغرقت فى النوم ، حتى هذه الساعة !!

أجابه (أدهم) :

ـ لا عليك يا صديقى .. أعلم أنك قد قضيت نهار أمس كله فى المستشفى ، إلى جوار (جيهان) ، ولا ريب فى أن قلبك المرهف لم ينعم عليك بنوم عميق ، حتى ساعة متأخِّرة أمس .

تنهّد (قدرى) ، وقال فى أسى :

ـ هذا صحيح .. هأنتذا تقرأ دخيلة نفسى كالمعتاد يا صديقى .

غمغم (أدهم) :

ـ لا عليك .

ثم اكتسب صوته حزمًا مباغتًا ، وهو يسأله :

ـ والآن أخبرنى .. كم من الوقت تحتاج ؛ لإعداد حقيبتك ، وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من أدوات ، حتى يمكنك السفر .

قال (قدرى) فى دهشة :

ـ السفر ؟! إلى أين ؟!

أجابه (أدهم) بسرعة :

ـ إلى الولايات المتحدة الأمريكية .

ارتفع حاجبا (قدرى) فى دهشة بالغة ، واعتدل جالسًا على طرف فراشه ، وهو يكرّر :

ـ الولايات المتحدة الأمريكية ؟!

ثم سأل فى حذر متوتر :

ـ متى ؟!

أجاب (أدهم) فى هدوء :

ـ الطائرة ستقلع فى الواحدة ظهرًا .

صرخ (قدرى) مذعورًا :

ـ الواحدة ؟! هذا يعنى ضرورة أن نتواجد فى المطار ، قبل الثانية عشرة !

أجابه (أدهم) :

ـ بالضبط .. وهذا يعنى أنه أمامك ما يقرب من الساعة ونصف الساعة ، لتعدّ كل شىء ، ثم إن تأشيرة دخولك إلى الولايات المتحدة الأمريكية مازالت سارية ، ولقد حجزت التذاكر بالفعل .

هتف (قدرى) :

ـ ولكن يا (أدهم) ..

قاطعه فى حزم :

ـ تمام الثانية عشرة ، فى صالة السفر ، فى المطار الجديد .. هذا أمر .

قالها ، وأنهى الاتصال مباشرة ، تاركًا (قدرى) فى ذروة التوتر والقلق ، و ...

والخوف ..

لقد شاركه مهمته السابقة ، فى (ريو دى جانيرو) ، وخاض معه أهوالاً ، ما زال قلبه ينتفض منها ، حتى هذه اللحظة ..



صرخ (قدرى) مذعوراً :
ـ الواحدة ؟! هذا يعنى ضرورة أن نتواجد فى المطار ، قبل الثانية عشرة ! ..

ولكن ما يقلقه بالفعل ، هو أنه لم ينجح فى مد يد المساعدة إليه ، فى المهمة السابقة ..

فهل يمكن أن يفيده ، فى المهمة القادمة ؟!

هل ؟!

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة واسعة كبيرة ، على شفتى والدة (منى) ، وهى تدلف إلى حجرة ابنتها ، قائلة :

ـ الدكتور (عماد) سيأتى لزيارتنا اليوم .

انعقد حاجبا (منى) ، وهى تصفف شعرها ، وقالت فى ضيق ملحوظ :

ـ أهلاً وسهلاً .

اقتربت منها أمها ، وسألتها فى قلق :

ـ ألا تحبين (عماد) ؟!

هزت (منى) كتفيها ، وانتهت من ارتداء ثيابها ، وهى تقول :

ـ إننى لا أكرهه بالتأكيد ، فهو ابن خالتى .. أليس كذلك ؟!

قالت أمها فى سرعة :

ـ ليس كذلك فحسب .

تنهّدت (منى) ، قائلة :

ـ ماذا هناك أيضًا ؟!

أجابتها أمها فى حزم :

ـ إنه خطيبك .

التفتت إليها (منى) فى حدة ، هاتفة فى استنكار :

ـ خطيبى ؟!

قالت أمها فى إصرار :

ـ نعم .. خطيبك .. ألم يتقدّم لخطبتك رسميًا ؟!

قالت (منى) فى عصبية :

ـ وهل وافقت أنا على هذه الخطبة ؟!

أجابتها أمها فى ارتباك :

ـ كلاً .. إنك لم توافقى بعد ، ولكن ..

قاطعتها فى حزم :

ـ لا يوجد بعد يا أماه .. إننى لم أوافق على هذه الخطبة .. أو بمعنى أكثر وضوحًا .. لقد رفضتها .

قالت أمها فى غضب :

ـ ولماذا ترفضين (عماد) ؟! إنه شاب ممتاز ، وطبيب ناجح ، تتمناه كل فتاة فى الدنيا .

أشارت (منى) بسبّابتها ، قائلة :

ـ عظيم .. هذا يعنى أنه لن يخسر كثيرًا برفضى له ، فما زالت أمامه كل فتيات الدنيا .

تحسّست أمها شعرها ، وهى تقول فى حنان :

ـ ولكنه يريدك أنت .

أجابتها (منى) فى سرعة :

ـ وأنا لا أريده هو .

انعقد حاجبا أمها فى غضب ، وهى تقول :

ـ من تريدين إذن ؟! زميلك رجل المخابرات هذا ؟!

أشاحت (منى) بوجهها ، قائلة :

ـ أماه .. هذا شأنى وحدى .

ابتعدت أمها عنها ، وهى تقول فى عصبية :

ـ كلاً .. ليس شأنك وحدك .. لقد ناقشنا أنا وأبوك هذا الأمر جيدًا ، واتفقنا على رفض هذا الرجل تمامًا .. هذا لو تقدّم لخطبتك .

تسللت الدموع إلى عينى (منى) ، وهى تقول فى لهجة ، حاولت أن تجعلها حازمة :

ـ هل ترفضونه لمجرّد العناد ؟

لوّحت أمها بذراعيها ، هاتفة :

ـ ليس لمجرّد العناد يا (منى) ، ولكن لأننا نكره

أن تتزوَّج ابنتنـا رجـلاً ، يمكـن لأسـلوب حياتـه أن يجعلها أرملة ، فى أية لحظة .

قالت (منى) فى توتر :

ـ أسلوب الحياة هذا نحياه معًا .

هتفت أمها فى مرارة :

ـ ومن أخبرك أننا نشعر بالارتياح لهذا ؟!

ثم اغرورقت عيناها بالدموع بدورها ، وهى تحيطها بذراعيها ، مستطردة :

ـ هل تعلمين يا بنيتى ؟! عندما كنت فاقدة الوعى بالمستشفى ، وفـى أثنـاء فترة العـلاج الطبيعـى بعـد استيقاظك ، كنـا ، علـى الرغم مـن آلمنـا وعذابنـا ، نشعر بشىء من الاطمئنان تجاهك .. نشعر على الأقل بـأنك هنـا .. إلـى جوارنـا ، لا تتعرَّضين للمخـاطر أو الأهوال .. وسيدهشك أننـا كنـا نتمنـى أن تطول فترة علاجك ، حتى تبقين هنا .

أشـاحت (منى) بوجهها ، لتخفى تلك الدمـوع ، التى انهمرت من عينيها فى غزارة ، فى حين أطلقت أمها لدموعها العنـان ، دون أن تحـاول إخفـاء هـذا ، وهى تتابع :

ـ وحتى عندما تقدَّم (عماد) لطلب يدك رسميًا .. تمنينا ـ والدك وأنا ـ أن توافقى ، حتـى نطمئـن إلى وجودك بجانبنا ، وابتعادك عن عالم الخطر ، الذى تعيشين فيه ، منذ التحقت بالمخابرات العامة .

غمغمت (منى) :

ـ هذا هو العالم الذى أحبه .

ابتعدت أمها عنها بحركة حادة ، هاتفة :

ـ والعالم الذى أبغضه .

انفرجـت شفتا (منـى) ، لتقول شيئًا مـا ، ولكـن رنين جرس البـاب ارتفـع فـى تلك اللحظـة ، فهتفـت أمها :

ـ إنه (عماد) .. لقد وصل قبل موعده .

انعقد حاجبا (منى) فى ضيق ، فـى حين اندفعت أمها نحو باب الشقة ، وفتحته فى لهفة ، هاتفة :

ـ مرحبًا يا ...

بترت عبارتها بغتة ، وهى تحدِّق فى وجه (أدهم) ، الذى ابتسم ابتسامة رقيقة مهذَّبة ، وهو يقول :

ـ معـذرة لقـدومى دون موعـد سابق ، ولكن هل يمكننى مقابلة الآنسة (منى) ..

انعقد حاجبا الأم فى غضب واضح ، وهمَّت أن تقول شيئًا ما ، ولكن (منى) اندفعت من حجرتها ، هاتفة فى سعادة :

ـ بالطبع يا (أدهم) .. أنت على الرحب والسعة هنا ، فى أى وقت .

أشاحت الأم بوجهها فى حنق ، وغادرت المكان كله فى خطوات سريعة ، فتنحنح (أدهم) فى حرج ، قائلاً :

ـ أخشى أن هذا ليس رأى الجميع .

ابتسمت قائلة :

ـ لا عليك .. إنها اختلافات فى وجهات النظر فحسب .. هيًا .. تفضَّل .

اتجه معها إلى حجرة الصالون ، وقال قبل أن يجلس :

ـ سنسافر إلى (أمريكا) ، فى طائرة الواحدة ظهرًا .

ألقت نظرة على ساعتها ، وهى تهتف :

ـ الواحدة ظهرًا .. سيكون لدى وقت لا يكاد يكفى لإعداد حاجياتى .

ثم سألته فى اهتمام :

ـ أهى مهمة جديدة ؟!

هزَّ رأسه ، مجيبًا :

ـ ليس بالضبط .

ثم استطرد ، ليجيب النظرة الحائرة المتسائلة ، التى وثبت إلى عينيها :

ـ يمكنك أن تقولى : إنها استكمال للمهمة القديمة .

وجلس على أول مقعد صادفه ، مكملاً :

ـ أو هما عمليتان على الأصح .. إحداهما تمهيد للمهمة الجديدة ، والأخرى غير رسمية ، وتعدّ حسمًا لمهمة قديمة .

سألته فى اهتمام :

ـ وماذا عن الثانية ؟! أعنى غير الرسمية ؟!

تنهَّد فى عمق ، قبل أن يجيب :

ـ أنت تعلمين أن صورة (سونيا جراهام) كانت تحتل أحد جدران وكر السنيورا السرى ، والتفسير المباشر لهذا ، هو أن السنيورا هى نفسها (سونيا) ، خاصة وأنها تتبع نفس أسلوبها ، ونمط خططها ، وطريقة تعاملها مع الآخرين .

غمغمت في اهتمام :

ـ هذا ما أكده مركز التحليل النفسى فى الإدارة .

وافقها بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ولكن ..

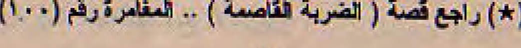
لم يكمل عبارته مباشرة ، فسألته فى قلق :

ـ ولكن ماذا ؟!

ظلّ صامتًا بضع لحظات ، قبل أن يهزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

ـ شىء ما فى أعماقى ما زال يشعر بالشك .. شىء ما يرفض الاعتراف بأن السنيورا هى (سونيا جراهام) .. لست أدرى لماذا ، أو كيف .. ولكن الشكوك تملأ نفسى ، وتكاد تعصف بكيانى .. وفى الوقت ذاته ، هناك جزء منى يتمنى لو أنها (سونيا) ، فهذا يعنى أنها قد نجت من الانفجار ، فى جزيرة (هيل)(*) ، ويعنى بالتالى أن .. أن ..

صمت لحظة ، وازدرد لعابه فى صعوبة ، ليستطرد :



(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

ـ إن ابنى أيضًا ما زال على قيد الحياة .

شعرت بغصّة فى حلقها ، عندما نطق عبارته الأخيرة ، ولكنها استنفرت كل مشاعرها لتتماسك ، وهى تسأله بصوت خافت :

ـ وكيف يمكنك حسم كل هذه الشكوك ؟!

صمت طويلاً هذه المرة ، قبل أن يرفع عينيه إليها ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا هو الجزء الثانى .. المهمة غير الرسمية .

نطقها فى صوت قوى ، حازم ، و ...

وغامض ..

للغاية .

★ ★ ★

٢ ـ مهمة غير رسمية ..

سرت قشعريرة ، أكبر برودة من ثلوج (سيبيريا) ، فى جسد (جيسكار دى مال) ، عالم الفيزياء النووية الفرنسى ، وهو يتطلع إلى الجليد ، عبر نافذة الهليوكوبتر ، التى حملته مع زملائه الثلاثة و(لورانزو) ، فور هبوطهم فى (سيبيريا) ، وراحت تحلق بهم على ارتفاع منخفض ، فوق ثلوج تمتد إلى مدى البصر ، وغمغم متحدثًا إلى زميله (ميخائيل استروتيسكى) ، خبير الطاقة الذرية :

ـ إلى أين يحملوننا هذه المرة ؟! أهى (كندا) أم (روسيا) .

أجابه (ميخائيل) بصوت مرتجف :

ـ بل هى (روسيا) .. ومنطقة (سيبيريا) بالتحديد .

التفت إليه (دى مال) فى دهشة ، فتابع فى عصبية :

ـ لا تنس أننى سوفيتى الأصل ، ثم إننى كنت أعمل فى أحد المفاعلات النووية هنا ، قبل أن ينهار كل شىء ، وأهاجر إلى (إسرائيل) .

سأله (دى مال) :

ـ كنت تعمل هنا ، فى (روسيا) ؟

لوّح (استروتيسكى) بسبابته نفيًا ، وأجاب :

ـ بل هنا فى (سيبيريا) .

ارتفع حاجبا (دى مال) فى دهشة مذعورة ، فى حين غمغم (دوران جولهى) ، خبير المفاعلات النووية ، مستنكرًا :

ـ وهل توجد مفاعلات نووية هنا ، فى (سيبيريا) ؟!

زفر (استروتيسكى) ، مجيبًا :

ـ كانت توجد ثلاثة منها على الأقل ، ولكن أحدها لم يعد له وجود ، بعد تحوّل (روسيا) إلى سياسة السلم والـ ...

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حنق :

ـ والاستسلام .

تنهّد (ديوك بولانسكى) ، خبير الهندسة النووية ، وقال فى هدوء يُحسد عليه :

ـ مازال المفاعل النووى هنا ؟!

التفت إليه الثلاثة فى دهشة ، وهتف (دى مال) :

ـ هنا ؟!

أومأ (بولانسكى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. هنا .. ونحن نتجه إليه مباشرة على الأرجح .

قفز الذعر من عيونهم ، وامتزج بالاستنكار ، فى عينى (استروتيسكى) ، فتابع (بولانسكى) فى حزم :

- لا تنس أننى روسى مثلك يا (استروتيسكى) ، وأننا كنا نعمل معًا فى مفاعل (سيبيريا) ، ثم أضف إلى هذا أن خبرتى بالمنطقة تزيد عنك بعامل شديد الأهمية .

ومال نحوه ، متطلعًا إلى عينيه مباشرة ، وهو يضيف :

- لقد كنت معتقلاً هنا .

اتسعت عينا (دى مال) فى ذعر ، وهو يحدّق فيه ، قبل أن يهتف :

- كنت معتقلاً هنا ؟! فى (سيبيريا) ؟

ابتسم (بولانسكى) ، قائلاً :

- نعم يا رجل .. كنت معتقلاً هنا .. فى (سيبيريا) .. لست أدرى كم قضيت فيها بالضبط ، فأنت تفقد الإحساس بالزمن داخلها تمامًا ، ولكن يُخيَّل إلىَّ أنهم اعتقلونى لألف عام أو يزيد .

سأله (جولهى) مرتبكًا :

- وكيف كان الحال هناك ؟! أعنى أهو أشبه بالجحيم ، كما يرويه لنا رجال حكومتنا .

التفت إليه (بولانسكى) ، قائلاً :

- الجحيم ؟! إننا كنا نتمنى الموت ألف مرة ، لنذهب إلى الجحيم ، حتى نرتاح من عذاب المعتقل يا رجل .

تراجع (جولهى) مذعورًا ، وهو يغمغم :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أطلق (جولهى) ضحكة عصبية ، قائلاً :

- لا تقلق يا رجل .. إنها الحسنة الوحيدة ، للعمل فى صف السنيورا ، فبعد تمثيلية موتى المتقنة ، وخروجى من المعتقل ، أدركت أنها تمتلك نفوذًا مذهلاً هنا ، ومع نفوذ كهذا ، لا يمكن أن تطأ المعتقل بقدميك أبدًا ، حتى ولو قتلت (بوريس يلتسن) نفسه(*) ، أو ...

(*) (بوريس نيكولا يفيتش يلتسن) (١٩٣١ -) .. رئيس (روسيا الاتحادية) منذ عام ١٩٩٠م ، وهى أكبر جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ، وهو الذى نادى بالانفتاح الاقتصادى ، وحرية الجمهوريات ، وأزاح الرئيس السابق (ميخائيل جورباتشوف) عن مقعد الحكم ، بسبب بطء سياسته الإصلاحية الاقتصادية ، وقد انضمّ (يلتسن) إلى الحزب الشيوعى عام ١٩٦١ م ، وأصبح رئيسًا للجنة الحزب عام ١٩٧٦ م ، ثم عينه (جورباتشوف) رئيسًا للجنة الحزب فى (موسكو) ، عام ١٩٨٥ م .

قطع (لورانزو) حديثهم فى صرامة ، وهو يحمل مدفعه الآلى القصير :

ـ لقد وصلنا .

استدار الجميع فى آن واحد ، إلى واجهة الهليوكوبتر ، وشهق (دى مال) فى انبهار ، وهو يحدِّق فى المفاعل النووى الروسى ، الذى تتجه إليه الطائرة ، فى حين لاذ (جولهى) و (استروتيسكى) بالصمت ، وغمغم (بولانسكى) فى توتر :

ـ ألم أقل لكم ؟!

هبطت الهليوكوبتر فى ساحة المفاعل ، ودفعهم (لورانزو) أمامه فى خشونة ، وما إن غادروا الطائرة ، حتى راحت أوصالهم ترتجف بردًا ، على الرغم من المعاطف الثقيلة التى يرتدونها ، ولكن (لورانزو) واصل دفعهم أمامه ، حتى بلغوا المبنى الملحق بالمفاعل ، فأسرعوا يدخلونه طلبًا للدفء ..

ولم يخب رجاؤهم ، فى هذا الشأن ..

لقد كان المكان دافئًا بالفعل ، إلى حد أنهم خلعوا معاطفهم ، و(جولهى) يهتف بزميله (استروتيسكى) فى توتر :

ـ كيف تحتملون هذا البرد القارس بالله عليك ؟!

ابتسم (استروتيسكى) ، قائلاً :

ـ هذا البرد القارس أنقذنا من أكبر طاغيتين فى التاريخ (نابليون)(*) ، و(هتلر)(**) ..

(*) (نابليون بونابرت) (١٧٦٩ ـ ١٨٢١) ، إمبراطور (فرنسا) ، ولد فى (كورسيكا) ، وتخرَّج ضابطًا للمدفعية ، اشترك فى الحملة ضد (بادولى) ، الذى عارض فى ضم (كورسيكا) إلى (فرنسا) ، فتم تعيينه قائدًا لحملة (إيطاليا) ، التى انتصر فيها ، ثم قاد الحملة الفرنسية على (مصر) ، وعاد فى منتصفها إلى (فرنسا) ، وأسقط الحكومة ، وأعلن نفسه إمبراطورًا عام (١٨٠٤م) ، وقاد عدة حملات قوية ، ضد دول فى (أوربا) و(آسيا) ، قبل أن تهزمه ثلوج (موسكو) ، ويعود إلى (باريس) بجيش محطمٍ ، لم يمكنه الصمود أمام (انجلترا) ، فهزم فى معركة (واترلو) عام (١٨١٥م) ، فتم نفى (نابليون) إلى جزيرة (سانت هيلانه) ، حتى موته .

(**) (أدولف هتلر) (١٨٨٩ ـ ١٩٤٥م) ، دكتاتور ألمانى وزعيم الحزب النازى ، ومؤسس الرايخ الثالث ، اشترك فى الحرب العالمية الأولى ، وبعدها نظم حزب العمل الألمانى الاشتراكى الوطنى (النازى) ، الذى انضمَّ إليه العديدون ، بسبب الأزمة المالية عام (١٩٢٩م) ، فأيده كبار رجال الصناعة ، حتى عيَّنه هندنبورج رئيسًا للوزراء (يناير ١٩٣٣) ، ثم أصبح رئيسًا للجمهورية عام ١٩٣٤م ، وأدت سياسته إلى قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) ، وحارب (انجلترا) و(فرنسا) و(أمريكا) و(روسيا) ، ويعتبر البعض هزيمته أمام ثلوج الأخيرة هى السبب الأول لخسارته الحرب ، وانتحاره فيما بعد .

غمغم (دى مال) :
ـ هل تعتقد أنه يستطيع إنقاذنا أيضًا ؟!
أتاه الجواب بصوت أنثوى صارم ، يقول :
ـ ومن يحتاج إلى إنقاذ ؟!
استدار الأربعة فى توتر شديد إلى مصدر الصوت ، حيث أقبلت السنيورا بجمالها الفتان ، وهى تنفث دخان سيجارتها الرفيعة كالمعتاد ، مستطردة :
ـ إننى أحب هذا المكان للغاية .
تبادل العلماء الأربعة نظرة قلقة ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ، فتابعت فى لهجة صارمة قاسية :
ـ وأنا واثقة من أنه سيروق لكم أيضًا .. لقد استكملت كل ما ينقصه ، خلال الساعات القليلة السابقة ، وستجدون أماكن أنيقة دافئة للإقامة ، مجهزة بكل وسائل الراحة والتسلية الحديثة ، بحيث لن يصيبكم الملل أبدًا ، أما معاملكم ، فهى تحفة علمية ، بأى مقياس علمى منطقى ؛ إذ ستجدون فيها أحدث الأجهزة ، وأفضل وسائل التحليل والمقارنة ، مع أجهزة كمبيوتر متطورة ، من طراز (آى . بى . إم) ..
والتقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، قبل أن تضيف بصرامة أكثر :

ـ الأكثر أهمية أن وسائل الأمن هنا أيضًا أكثر حداثة ، فسيمكننى بوساطتها رصد دبيب النمل ، ومتابعة كل ما تفعلونه ، وفى هذه المرة سأواجه أية محاولة تمرُّد بحزم وقسوة لا حدود لهما .
وارتسمت على شفتيها ابتسامة قاسية ، وهى تستطرد :
ـ ولقد أوحى لى الطقس بوسيلة عقاب مبتكرة ، فإذا ما رفض أحدكم طاعة أوامرى ، أو حاول إعاقة خطوات المشروع ، فسأكتفى بإغلاق باب حجرته فى إحكام لليلة واحدة ، و ...
صمتت لحظة ، ثم أضافت على نحو مخيف :
ـ وأوقف عمل أجهزة التدفئة فيها .
ارتجفت أجسادهم فى ذعر ، لمجرَّد تصوّر أنفسهم بلا تدفئة ، فى هذا الطقس الرهيب ..
وقرأت هى ذلك الذعر فى وجوههم ..
واتسعت ابتسامتها ..
اتسعت ، حاملة المزيد من الظفر ، والقوة ، والقسوة ، والثقة ..
وفى بطء ، أطلقت الدخان من بين شفتيها ، فى

سقف الحجرة ، قبل أن تخفض عينيها ، وتقول فى صرامة :

ـ والآن دعونا نناقش خطة العمل ، فى هذه الجولة الثانية .

وتألقت عيناها ، حتى صارتا أشبه بجذوتين ملتهبتين ، وهى تضيف :

ـ خطة إنتاج قنابل السنيورا الذرية .

وفى هذه المرة ، ارتجفت أجسادهم فى عنف أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

« إننى لن أحتمل الهزيمة هذه المرة يا (أدهم) .. لن أحتملها أبدًا .. لن أجد مكانًا واحدًا فى الأرض ، يمكننى الذهاب إليه ، بعد هزيمتى هنا ؛ لذا فالأفضل أن أرحل من العالم كله .. »

نطقت (سونيا جراهام) العبارة ، فى عصبية شديدة ، قبل أن تستطرد فى صرامة شرسة :

ـ وسأحمل ابنى معى .

صرخ (أدهم) :

ـ لا يا (سونيا) .. ليس هذا من حقك .

قالت فى صرامة :

ـ ابنى سيصحبنى إلى أى مكان أذهب إليه يا (أدهم) .. حتى ولو كان هذا المكان هو الجحيم نفسه .

صرخ (أدهم) :

ـ سأقتلك يا (سونيا) .. سأقتلك لو مسست شعرة واحدة من رأس ابنى .. هل تفهمين ؟!

أطلقت ضحكة عصبية عالية ، وهى تقول :

ـ فلنجعلها مسابقة أخيرة يا (أدهم) .. سأرشدك إلى مكانى ، ولكن عليك أن تبلغه خلال دقيقة واحدة ، وهى الزمن الذى يستغرقه إشعال فتيل القنبلة ، التى ستنسف حجرتى كلها .. سأضغط الآن زر التفجير يا (أدهم) ، وستجد الطريق من موقعك إلى هنا ، مضاء بلون أخضر مميز ..

« (أدهم) .. فيم تفكر ؟! »

تسلل صوت (منى) الهامس الدافئ إلى أذنيه ، فانتزعه من ذكرياته ، التى جعلته يتطلع عبر نافذة الطائرة فى شرود لبعض الوقت ، وجعلته يلتفت إليها ، قائلاً :

- أستعيد بعض الذكريات القديمة .

تطلَّعت إلى عينيه الحزينتين لحظة ، قبل أن تهمس فى حنان :

- أهى الذكريات نفسها ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وتنهَّد ، قائلاً :

- إنها هى .

وعاد يلتفت إلى النافذة ، ليخفى فيها انفعالاته ، وهو يتابع فى مرارة :

- لا يمكننى نسيان تلك اللحظات أبدًا .. إنها تطاردنى طوال الوقت .

وصمت لحظة ، قبل أن يلتفت إليها ، مستطردًا :

- ولهذا ينبغى أن أحسم الأمر .

ربَّتت على يده ، هامسة :

- سنفعل كل ما تريد .

ابتسم فى حزن ، وهو يقول :

- هذا ما أتوقَّعه منك .

سعل (قدرى) ، الذى يجلس أمامهما ، وقال فى شىء من العصبية :

- هذا أكثر ما أبغضه ، فى رحلات (أمريكا) .. أنها تستغرق وقتًا طويلاً للغاية .

ضحكت (منى) ، قائلة :

- ولكن هناك ثلاث وجبات خلال الرحلة .

مطَّ شفتيه ، مغمغمًا فى سخط :

- أتسمين هذه وجبات ؟!

مالت نحوه ، وغمزت بعينها ، قائلة :

- يمكنك تعويض هذا فى (نيويورك) .. إنهم يقدمون الكثير من الوجبات الدسمة هناك .

سألها فى لهفة :

- هل سيكون لدينا وقت لتناول تلك الوجبات ؟!

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وقال :

- بالتأكيد يا صديقى .. كيف يمكننى أن أتوقَّع منك نتائج فنية مبهرة ، بدون تلك الوجبات الدسمة ؟!

وصمت متطلِّعًا إليه لبعض الوقت ، ثم تابع فى حزم :

- كما أنك ستتولَّى وحدك الجزء الأول من العملية .

اتسعت عينا (قدرى) فى ذعر ، وهو يهتف :

- أنا ؟!

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا فى صمت ، فاتسعت عينا (قدرى) أكثر وأكثر ، وهو يقول فى ارتياع :

ـ ولكن كيف يا (أدهم) .. إننى أجهل حتى الـ ...

قاطعه (أدهم) ، وهو يضع سبَّابته على شفتيه بإشارة صارمة ، فى حين قالت (منى) فى حزم :

ـ هل تعتقد أن المكان هنا ، يناسب مناقشة أمر كهذا يا عزيزى (قدرى) ؟!

بُهِتَ لقولها ، وارتبك فى حرج ، وهو يتلفَّت حوله ، ويتراجعِ فى مقعده ، متمتمًا فى خجل شديد :

ـ كلا .

قالها ، وأطبق شفتيه تمامًا ، حتى نهاية الرحلة ، والسؤال يتردد فى رأسه فى عنف ..

تُرى ما الذى يقصده (أدهم) ، بأنه سيتولى وحده الجزء الأول من العملية ؟!

ولماذا هو بالذات ؟!

لماذا ؟!

★ ★ ★

التقطت (منى) نفسًا عميقًا ، وهى تعقد ساعديها أمام صدرها ، وتتطلَّع عبْر نافذة تلك الشقة الفاخرة ، فى الطابق العشرين ، من أرقى ناطحة سحاب فى (نيويورك) ، إلى المدينة ، التى تمتدّ أمامها ، فى ضوء الشمس ، وغمغمت :

ـ المشهد رائع بحق .

مطَّ (قدرى) شفتيه ، قائلاً فى تبرُّم :

ـ وماذا عن الوجبات الساخنة الدسمة ؟!

التقط (أدهم) سمَّاعة الهاتف ، وهو يقول :

ـ إنها فى طريقها إلى هنا .

فرك (قدرى) كفيه فى سعادة ، قائلاً :

ـ عظيم .. إننى أنتظر بفارغ الصبر .

ابتسم (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يضرب أزرار الهاتف ، ويقول :

ـ هنا (فيليب دارك) ، رجل أعمال بريطانيٍ .. أرغب فى استئجار طائرة خاصة ليوم كامل .. كلا .. سأقودها بنفسى .. بالتأكيد .. رخصة الطيران الخاصة بى صالحة لخمسة أعوام قادمة .. نعم .. سأدفع كل التكاليف نقدًا .

تطلَّع إليه (قدرى) ، فى مزيج من القلق والدهشة ، ثم سأله :

ـ هل سنسافر إلى مكان آخر ، قبل أن .. أعنى بهذه السرعة .

أومأ (أدهم) برأسه ، قائلاً :

- سنسافر أنا و (منى) .. أما أنت ، فستبقى هنا ؛ لتقوم بدورك فى الخطة .

مطَّ (قدرى) شفتيه ، وقال :

- أهنئك يا (أدهم) .. لقد نجحت .

سأله (أدهم) :

- فيم ؟!

أجابه فى عصبية :

- فى إفقادى شهيتى .

أطلقت (منى) ضحكة مرحة ، وهى تقول :

- لم أكن أتصوَّر أن هناك أى شىء فى العالم ، يمكن أن يُفقدك شهيتك يا عزيزى (قدرى) .

أجابها فى عصبية :

- وماذا عن مواجهة الخطر ؟!

هزَّ (أدهم) رأسه ، قائلاً :

- لن يكون هناك خطر بالنسبة لك .

سأله (قدرى) فى توتر :

- وكيف هذا ؟!

أجابه (أدهم) :

- جواز السفر ، الذى دخلت به (أمريكا) ، يحمل

اسم (موريس سوريال) ، والمهنة رجل أعمال مصرى ، وهذا بالضبط هو الدور الذى ستلعبه ، فى مواجهة (سام أوكونور) ، عملاق صناعة آلات الجر الثقيلة .

هزَّ (قدرى) رأسه فى حدة ، قائلاً :

- (أدهم) .. لست أحب الغموض أو الاختصارات .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- سأشرح لك الخطة كلها يا صديقى ، قبل أن يصل الطعام ، وتنشغل به حواسك بأكملها .

قال (قدرى) متوترًا :

- إلىَّ بها إذن .. كلى آذان مصغية .

اعتدل (أدهم) ، قائلاً :

- هل تعلم أن هذه الشقة الفاخرة مستأجرة باسمك ، وكذلك سيارة (رولزرويس) ذهبية ، تنتظر أمام المبنى ، كما سيصل الآن مصمم ثياب فى (نيويورك) ، ليصنع لك طاقم من الحلل الأنيقة ، من أفخر الأقمشة ، خلال ثلاث ساعات فحسب ، ولو أضفنا إلى كل هذا ساعة (رولكس) ذهبية ، وحذاء إيطاليًا من جلد التمساح الأصلى ، ستكون لدينا صورة مثالية لمليونير مصرى عربى ، كما يتخيله هؤلاء المأفونون .


ثم التقط ملفًا ضخمًا من حقيبته ، وألقاه إليه ..

سأله (قدرى) فى قلق :

ـ وما الذى ينبغى أن أفعله ؟!

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ لقد تم تحديد موعد لك بالفعل ، مع (سام أوكونور) ، فى السادسة مساءً ، وكل ما عليك أن تفعله هو أن تقنعه بأنك ملياردير مصرى ، يرغب فى الحصول على توكيل منفرد ، لكل ما ينتجه من الآلات الثقيلة .

فغر (قدرى) فاه فى ذهول مستنكرًا ، وهو يقول :

ـ ولكننى أجهل كل شىء عن هذه الآلات .

أشار (أدهم) بسبَّابته ، قائلاً :

ـ بالضبط .

ثم التقط ملفًا ضخمًا من حقيبته ، وألقاه إليه ، مستطردًا فى حزم :

ـ لهذا جعلنا اللقاء فى موعد متأخر ، حتى يمكنك قراءة الكثير عنها .

حدَّق (قدرى) فى الملف الضخم فى ذهول ، ثم هتف فى حنق :

ـ (أدهم) .. هذا الملف يحتاج إلى وقت ضخم ، لمجرَّد تصفحه .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وأشار إلى (منى) ، وهو يقول :

- فلتبدأ قراءته على الفور إذن .

نقل (قدرى) بصره بينهما فى توتر ، قبل أن يهتف :

- إلى أين تذهبان ؟! هل ستتركانى وحدى ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم :

- لن تكون وحدك .. وسيرافقك اثنان من رجال مكتبنا هنا .. أحدهما سينتحل شخصية سكرتيرك الخاص ، أما الثانى ، فهو سائق (الرولز رويس) الذهبية .

تابعهما (قدرى) فى عصبية ، وهما يحملان حقيبة صغيرة ، ويتجهان إلى الخارج ، ثم هتف فى توتر شديد :

- إلى أين ؟!

التفت إليه (أدهم) ، مجيبًا :

- سنحسم أمر الشكوك يا صديقى .

أراد (قدرى) أن يلقى سؤالاً آخر ، إلا أن (أدهم) أنهى عبارته ، وغادر الحجرة مع (منى) فى سرعة ،

وأغلقا الباب خلفهما ، تاركين إياه والحيرة تملأ نفسه ، وتمتزج بالخوف ، ليصنعا معًا تساؤلاً مقلقًا ..

تُرى هل يمكنه القيام بهذا الجزء من المهمة وحده ؟!

ثم لماذا يتركانه وحده ؟!

أى شىء سيفعلان ، خلال الساعات القادمة ؟!

أى شىء ؟!

★ ★ ★

عدَّل الدكتور (راضى) ، أستاذ علم الاقتصاد ، فى جامعة (القاهرة) ، منظاره فوق أنفه ، وأدار عينيه فى وجوه رجال المخابرات ، داخل قاعة الاجتماعات الرئيسية ، قبل أن يقول فى حزم :

- الافتراض الذى تطرحونه مخيف للغاية أيها السادة ، فتلك الأسماء ، التى تتحدث عنها ، ليست مجرَّد علامات بارزة ، فى عالم الاقتصاد والتجارة ، بل هى دعائم رئيسية للاقتصاد العالمى ، فتحت كل اسم منها ، ستجدون قائمة ضخمة من المشروعات والمصانع والشركات ، فى كل المجالات تقريبًا .. صناعة المنسوجات ، والإليكترونيات ، وأدوات التصوير ، والسيارات ، والمعدات الثقيلة ، وحتى

الطائرات والصواريخ ، والأقمار الصناعية ، إلى جوار استثمارات عقارية بمليارات الدولارات ، ومشروعات سياحية عملاقة ، وشركات طيران ، وسكك حديدية .. باختصار .. يمكننا أن نقول إن هؤلاء الأربعة يمثلون ثلث الاقتصاد الدولى تقريبًا ، ومن الطبيعى أن انهيارهم الافتراضى ، فى أوقات متقاربة ، يمكن أن يؤدى إلى انهيار اقتصادى عالمى ، ستتأثر به الدول الكبرى ، ويتزلزل كيان الدول النامية ، فى حين ستنسحق الدول الصغرى سحقًا ، وربما لا يجد سكانها ما يأكلونه سوى أن يأكل بعضهم البعض ، بعد أن يلتهموا كل حيوان حىّ فى أوطانهم ، حتى القطط والكلاب .

هتف أحد رجال المخابرات :

- يا إلهى ! إلى هذا الحد ؟!

تنهّد الدكتور (راضى) ، قائلاً :

- هذا تقدير أوّلى فحسب .

سأله المدير فى اهتمام :

- ألا يمكن ألا يحدث كل هذا ؟!

هزّ الدكتور (راضى) رأسه نفيًا فى قوة ، وقال :

- مطلقًا .. إنها ألف باء علم الاقتصاد .. فقط حاولوا أن تتخيلوا ما يمكن أن يحدث ، فى بورصة الأوراق المالية مثلاً ، عندما يعلم المساهمون أن رجلاً مثل (سام أوكونور) ، أو (إيفان مالينوفيتشى) ، أو (جون كريستوفرسن) ، أو حتى (دوما سومى) قد انهار اقتصاديًا .. ستصبح كارثة بكل المقاييس ، فسينخفض سعر أسهم الشركات إلى أدنى حد ، ولأن عدد تلك الشركات ضخم للغاية ، فسيكون الانهيار فادحًا بكل المقاييس .

تبادل الرجال نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يغمغم أحدهم :

- سيّدى .. إنك تجعل الصورة أمامنا قاتمة للغاية .

تنهّد الدكتور (راضى) قبل أن يقول :

- إنها كذلك بالفعل يا ولدى .. معذرة .

ران صمت رهيب على المكان ، استغرق ما يقرب من دقيقة كاملة ، قبل أن يسأل أحدهم الدكتور (راضى) فى حذر :

- قل لى يا دكتور : ألا توجد وسيلة لتفادى حدوث هذا ؟

أجابه الدكتور (راضى) فى سرعة :

ـ بالتأكيد .

سأله المدير فى لهفة :

ـ وما هى ؟!

عدّل الرجل منظاره فوق أنفه ثانية ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ ألا تلجئوا إلى تحطيم هؤلاء الأربعة الكبار ؟!

جاء جوابه محبطًا للغاية ، فتناول الرجال نظرة أخرى صامتة ، ثم لم يلبث المدير أن تنهّد فى عمق ، وقال :

ـ هذا يقودنا إلى قرار واحد يا رجال .

والتقى حاجباه فى صرامة وحزم ، وهو يضيف :

ـ سيتم إلغاء مهمة (ن ـ ١) .. تمامًا .

وكان هذا قراره الأخير .

★ ★ ★



٣ ـ الجحيم ..

« بقيت عشر ثوان فقط يا (أدهم) .. تسع .. ثمان .. سبع .. ست .. »

تردّد قول (سونيا) هذا ، عبْر مكبرات الصوت ، فى كل مكان فى قلعتها السرية ، على جزيرة (هيل) ، بلهجة عصبية للغاية ، و (أدهم) يعدو بكل قوته ، عبر الطرق الخضراء ، حتى لاح له باب حجرتها ، فى نهاية الممر ..

ولكن فجأة ، اعترضه أحد رجالها ، صارخًا :

ـ انتهيت يا رجل .

ضغط (أدهم) زر مدفعه ، ولكن رصاصاته كانت قد نفدت عن آخرها ، فهوى بكعب مدفعه على فك الرجل ، صارخًا :

ـ ابتعد عن طريقى .

وواصل عدوه نحو الباب ، و (سونيا) تصرخ :

ـ ثلاث ثوان .. ثانيتان .. ثانية واحدة ..

ثم دوى الانفجار ..
دوى ، قبل أن يبلغ (أدهم) الباب بمتر واحد ..
وقذف به إلى الخلف فى عنف ..
انفجرت القاعة ، التى كانت تضمّ (سونيا جراهام) ، وأحب شخص فى الوجود إلى قلبه ..
ابنه ..
وبكل ما تفجَّر فى أعماقه من ألم ومرارة وغضب ، صرخ (أدهم) :
ـ لا يا (سونيا) .. لا .. لا !!!!!
وكانت أقسى لحظات عاشها ، فى تلك الفترة من عمره ..
بل فى عمره كله ..
« (أدهم) ..... »
اخترق صوت (منى) ذكرياته فجأة ، وهو يقود تلك الطائرة الصغيرة فوق المحيط ، فالتفت إليها بحركة سريعة ، قائلاً :
ـ ماذا هناك ؟!
ابتسمت فى حنان ، قائلة :
ـ إنك لم تنطق بحرف واحد ، منذ بدأنا التحليق فوق المحيط .

تمتم بابتسامة باهتة :
ـ حقًا ؟!
تنهَّدت ، وهى تسأله :
ـ أهى تلك الذكريات مرة أخرى ؟!
أومأ برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فهزَّت رأسها ، مغمغمة فى أسى :
ـ كم أتمنى أن تتخلَّص منها .
غمغم بدوره :
ـ نحن فى سبيلنا إلى هذا .
شملهما الصمت بضع لحظات أخرى ، قبل أن تسأله :
ـ ما الذى تتوقَّع أن نجده ، فى جزيرة (هيل) ، بعد كل ما حدث فيها .
انعقد حاجباه لثانية أو ثانيتين ، ثم أجاب فى حزم :
ـ جواب لسؤال يؤرقنى بشدة ، منذ انتهت عملية جزيرة (هيل)(*) .. ترى هل لقيت (سونيا) مصرعها مع ابنى بالفعل ؟!
حدَّقت فيه بدهشة عارمة ، وهى تغمغم :

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

- أى سؤال هذا يا (أدهم) .. ألم تقل إن ...

قاطعها فى توتر :

- قلت : إن (سونيا) ضغطت زر التفجير ، ثم راحت تردد العد التنازلى ، حتى حدث الانفجار .. أليس كذلك ؟!

غمغمت بنفس الدهشة :

- بلى .

قال فى شىء من العصبية :

- لماذا لا يكون ذلك العد التنازلى مجرد تسجيل لصوت (سونيا) ؟! كلانا يعلم أنه من الصعب تمييز التسجيلات عن الأصوات المباشرة ، عندما يتم بث الاثنين ، عبر وسيلة أخرى ، مثل الهاتف أو مكبرات الصوت .

سألته فى لهفة وتوتر :

- (أدهم) .. ما الذى يدور فى ذهنك بالضبط ؟!

أجاب فى سرعة وحزم :

- إننى أحاول وضع سيناريو آخر للأحداث ، من زاوية رؤية مختلفة .. حاولى أن تتخيلى (سونيا جراهام) داخل وكرها ، فى قلب القلعة ، ومعها ابنها ..

ثم تنقلب كل الأمور فجأة رأسًا على عقب ، وتبرز أمامها الهزيمة ، من قلب النصر ، مما يدفعها إلى إشعال فتيل قنبلة خاصة ، ستودى بوكرها وحده ، من دون القلعة ، فما أول سؤال يخطر ببالك ؟!

تطلعت إليه بعينين متسائلتين ، دون أن تجيب ، فتابع على الفور :

- السؤال هو : هل يمكن أن تدفع الهزيمة امرأة مثلها إلى الانتحار ، دون أن تحاول هدم المعبد على رءوس الجميع ؟! هل يمكن أن تنسحب من الحياة مكللة بالهزيمة والعار ؟! كلا .. هذا لا يناسب شخصيتها قط ، فلو أن لديها خطة للتدمير ، فى حالة الهزيمة ، فهى ستعمد إلى تدمير كل شىء .. وبلا رحمة .

كررت (منى) ، فى توتر زائد :

- ماذا يدور فى ذهنك بالضبط يا (أدهم) ؟!

تزايدت عصبيته ، على نحو ملحوظ ، وهو يقول :

- قلت لك : إننا سنحاول إعادة كتابة المشهد ، من زاوية أخرى .. من خلال عقل (سونيا) وعينيها .. سنبدأ باللحظة التى ضغطت فيها زر التفجير ،

وأضاءت ذلك الممر الأخضر ، الذى يقودنى إليها ، ثم استدارت ، وضغطت زر جهاز تسجيل راح يذيع العد التنازلى بصوتها ، فى حين حملت هى ابننا ، وانطلقت به إلى مركبة ما .. غوّاصة صغيرة على الأرجح ، اندفعت بهما إلى قلب المحيط ، أسفل الجزيرة ، فى نفس اللحظة ، التى دوى فيها الانفجار .

شهقت ، هاتفة :

ـ يا إلهى !

ولكنه تابع فى سرعة وانفعال :

ـ وفى نفس الوقت ، الذى يهبط فيه رجال المظلات على الجزيرة ، تكون هى وابننا فى طريقهما إلى مكان آخر بعيد ، تم إعداده لإخفائهما ، فى حالة فشل العملية ، لتبدأ حياة جديدة ..

تمتمت (منى) :

ـ أو مشروعًا نوويًا جديدًا .

صمت لحظة ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ بالضبط ..

نطقها ، ثم لاذ بالصمت تمامًا ، وهو يواصل

الانطلاق بالطائرة نحو الهدف ، الذى سيتم عنده حسم كل الشكوك ..

نحو الجزيرة ..

جزيرة الجحيم ..

* * *

توقّفت سيارة فارهة طويلة ، ذات زجاج داكن ، أمام مبنى (سيتاديل) ، فى قلب (نيويورك) ، وهبط منها شاب قوى البنية ، ممشوق القوام ، أحمر الشعر ، يخفى عينيه بمنظار شمسى داكن ، ورفع رأسه ليتطلّع إلى المبنى ، الذى يرتفع أربعين طابقًا ، قبل أن يغمغم :

ـ من الممتع بالفعل أن ينتمى المرء إلى كيان عملاق كهذا .. إنه أمر يبعث فى النفس الشعور بالقوة والثقة .

قالها ، وخلع منظاره الشمسى ، ودسّه فى جيب سترته العلوى ، وهو يشير لسائق السيارة الفارهة الطويلة ، قائلاً :

ـ انتظرنى يا رجل .. سأعود إليك بعد قليل .

واتجه مباشرة إلى مدخل المبنى ، فاستقبله حارس

الأمن الأنيق بابتسامة ودود ، وهو يرفع يده بالتحية ، قائلاً :

ـ مرحبًا يا مستر (بيركينز) .. لم نرك منذ ثلاثة أيام .

لوّح (بيركينز) بيده ، وهو يقول :

ـ العمل يا رجل .. العمل دائمًا .

أومأ الحارس برأسه مبتسمًا ، وقال فى احترام :

ـ وفقك الله يا مستر (بيركينز) .

سأله (بيركينز) ، وهو يعبر مدخل المبنى .

ـ مستر (أوكونور) هنا .. أليس كذلك ؟!

أشار الحارس بيده إلى أعلى ، واتسعت ابتسامته ، وهو يجيب :

ـ على القمة كالمعتاد .

ابتسم (بيركينز) ابتسامة كبيرة ، حاول أن يخفى ما بها من سخرية ، وهو يتجه إلى المصعد الأحمر ، قائلاً للرجل الواقف أمامه :

ـ إلى القمة يا رجل .

ضغط الرجل زر باب المصعد ، وهو يفسح له الطريق ، قائلاً :

ـ هنا لا توجد طوابق أخرى يا مستر (بيركينز) .

لم ينطق الرجل كلمة واحدة بعدها ، والمصعد يصعد بهما إلى القمة ..

إلى الطابق الأربعين ..

حيث مكتب الرئيس ..

(سام أوكونور) ..

وفى الطابق الأربعين ، غادر (بيركينز) المصعد ، إلى حجرة (أوكونور) الضخمة الواسعة ، التى تحتل ربع الطابق بأكمله ، وتوقف لحظة ، ليتطلع إلى (أوكونور) ، الذى ترك مكتبه ، ووقف عاقدًا كفيه خلف ظهره ، يتطلع من خلف الجدار الزجاجى للحجرة ، إلى مدينة (نيويورك) ، فى صمت تام ، ثم لم يلبث أن اقترب منه فى حذر ، محاولاً ألا يصدر عن قدميه أدنى صوت ، إلا أنه فوجئ بالرجل يسأله فجأة ، دون أن يلتفت إليه :

ـ هل تعلم أن (نيويورك) العاصمة الاقتصادية الأولى للعالم ؟!

بُهت (بيركينز) للسؤال المباغت ، فتجمّد فى مكانه لحظة ، قبل أن يتنحنح ، قائلاً :

- نعم .. أعلم هذا يا مستر (أوكونور) .

تابع (أوكونور) وكأنه لم يسمعه :

- وأن ثلث نقود العالم ، يتم تداولها هنا ، وسط ناطحات السحب ، ومراكز التجارة ، والشركات العملاقة .

تنحنح (بيركينز) مرة أخرى ، قائلاً :

- نعم يا مستر (أوكونور) .. نعم .

التفت إليه (أوكونور) ، وسأله فى هدوء :

- من أخبرك بهذا ؟

تنهد (بيركينز)، مجيبًا :

- أنت يا مستر (أوكونور) .

ارتسمت ابتسامة واسعة ، على شفتى (أوكونور) ، وهو يعود إلى مكتبه ، قائلاً :

- بالضبط يا (بيركينز) .. أنا الذى أخبرك بهذا .. بل أنا الذى علمك كل ما تعرفه .

أومأ (بيركينز) برأسه ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد .

رمقه (أوكونور) بنظرة صامتة طويلة ، قبل أن يسأله :

- هل جمعت التحريات ، الخاصة بذلك المصرى ؟

أجابه (بيركينز) ، وهو يخرج من جيبه ورقة مطوية ، ويفضها فى سرعة :

- بالطبع يا مستر (أوكونور) .. إنه مليونير مصرى بالفعل .. اسمه (موريس سوريال) ، يمتلك شركة فى (الإسكندرية) ، لبيع وتأجير معدات الحفر والبناء ، ولقد استأجر شقة فاخرة ، فى مبنى (بلازا) ، بعشرة آلاف دولار شهريًا ، وسيارة (ليموزين) بسائق خاص ، كما أنه يأكل فى شراهة ، ربما لأنه بدين للغاية .

سأله (أوكونور) فى اهتمام :

- هل تحريت عن أحواله المالية ؟!

ابتسم (بيركينز) ، ولوح بيده ، قائلاً :

- أعتقد أنها واضحة للغاية يا مستر (أوكونور) .

انعقد حاجبا (أوكونور) فى شدة ، وهو يكرر :

- هل تحريت عن أحواله المالية ؟!

ارتبك (بيركينز) ، وهو يغمغم :

- ليس بعد يا مستر (أوكونور) .

بدا (أوكونور) شديد الصرامة ، وهو يقول :

ـ ومتى ستفعل ؟! إنها الرابعة والنصف الآن ، والمفترض أن ألتقى به فى السادسة .

نهض (بيركينز) فى ارتباك ، قائلاً :

ـ على الفور يا مستر (أوكونور) .. على الفور .. هل .. هل تسمح لى بالانصراف ؟!

أومأ (أوكونور) برأسه إيجابًا فى صرامة ، فأسرع (بيركينز) نحو الباب ، وقبل أن يفتحه ، استوقفه (أوكونور) ، قائلاً :

ـ (بيركينز) .

التفت إليه الشاب فى توتر ، فتابع فى صرامة شديدة ، وهو ينهض من خلف مكتبه :

ـ فى المرة القادمة ، لا تأتى إلى هنا ، إلا ومعك معلومات كاملة ، عما أسندته إليك .. هل تفهم ؟!

ازدرد (بيركينز) لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا :

ـ أفهم يا مستر (أوكونور) .. أفهم ..

تركه (أوكونور) ينصرف ، ثم اتجه مرة أخرى إلى الواجهة الزجاجية ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يتطلع مرة أخرى إلى مدينته ..

إلى (نيويورك) ..

★ ★ ★

شعر (قدرى) بالاختناق ، مع الحلة الأنيقة ، ورباط العنق الفاخر ، وأدهشته صورته الجديدة فى المرآة ، فهتف مبهورًا بالعربية :

ـ من هذا ؟! أنا ؟!

أجابه المصمم ، وهو يضع لمساته الأخيرة على الحلة :

ـ ماذا تقول يا مستر (سوريال) ؟! هل يزعجك شىء ما ؟!

هزّ (قدرى) رأسه ، وقال بإنجليزيته الركيكة :

ـ كلا .. لا يوجد ما يزعجنى على الإطلاق .. إنها رائعة .

ابتسم الرجل فى ارتياح ، وهو يغمغم :

ـ أشكرك يا مستر (سوريال) .. أشكرك كثيرًا .

ثم دفع أمامه ورقة وقلمًا ، مستطردًا :

ـ والآن هلاّ تفضّلت بالتوقيع هنا .

ردّد (قدرى) فى حذر :

ـ التوقيع .

انحنى رجل المخابرات (فائق) ، الذى يلعب دور سكرتيره ، وهو يقول :

- إنها الفاتورة يا مستر (سوريال) .

هتف (قدرى) :

- آه .. الفاتورة .

ثم التقط القلم ، وذيّل الفاتورة بتوقيعه ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- أرجو أن تكون قد أضفت إليها البقشيش الخاص بك .

نطق كلمة (البقشيش) بنفس الطريقة ، التى تنطق بها فى (مصر) ، فسأله الرجل فى حيرة :

- ماذا تعنى يا سيّدى ؟!

لوّح (قدرى) بيده ، قائلاً :

- لا عليك .. إنه مجرّد مصطلح وطنى .

انصرف الرجل ، والحيرة ما زالت تملأ نفسه ، فى حين عدّل (قدرى) حلّته مرة أخرى أمام المرآة ، وتحسّس فى رفق ذلك الدبوس الذهبى فى ياقتها ، ثم ابتسم ، قائلاً لـ (فائق) :

- من يصدّق أن هذا أنا ؟!

ابتسم (فائق) ، قائلاً :

- أنا .

ثم ألقى نظرة على ساعته ، متابعًا :

- أعتقد أنه ينبغى أن نتحرّك الآن ، فلم يتبق لنا سوى نصف الساعة ، على موعدنا مع (أوكونور) .

رفع (قدرى) حاجبيه وخفضهما ، وهو يبتسم ابتسامة واسعة ، قائلاً :

- أراهن على أن أناقتى ستبهره .

ضحك (فائق) ، قائلاً :

- لا أعتقد أن هذا سيعنيه كثيرًا .

سأله (قدرى) فى سرعة :

- وماذا عن سكرتيرته الحسناء ؟!

أطلق (فائق) ضحكة عالية طويلة ، وقال ملوّحًا بكفه :

- بالنسبة إليها ، سيختلف الأمر كثيرًا بالتأكيد .

كان يتحرّك نحو باب الشقة بالفعل ، عندما ارتفع رنين الجرس فجأة ، فى إلحاح متصل ، على نحو جعله يعقد حاجبيه ، ويستلّ مسدسه بحركة غريزية ، قائلاً :

- عجبًا ! ترى من الذى ..

فتح الباب ، قبل أن يكمل تساؤله ، وأدهشه أن

يرى زميله (محمود) ، الذى يقوم بدور السائق ، وهو يندفع إلى الشقة ، فهتف به :

ـ لماذا صعدت ؟! لقد كنا فى طريقنا إليك ، للحاق بموعد (أوكونور) !

لهث (محمود) ، وهو يقول :

ـ لا .. لا يوجد موعد مع (أوكونور) .. أعنى أنه لم يعد هناك موعد معه .

سأله (قدرى) فى دهشة :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟!

لهث (محمود) بضع لحظات أخرى ، قبل أن يسيطر على نفسه ، ويجيب :

ـ لقد ألغيت المهمة .

اتسعت عينا (قدرى) عن آخرهما ، وارتد كالمصعوق ، وهو يهتف :

ـ ألغيت ؟!

أما (فائق) ، فقال فى توتر :

ـ ماذا تعنى بهذا ؟! المفترض أن المهمة لم تبدأ بعد ، وأن كل ما نفعله مجرَّد تمهيد لها ، ومحاولة للاستفادة من الوقت فحسب .

هزَّ (محمود) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ حتى هذا لم تعد له أيَّة قيمة ، ما دامت المهمة الأصلية قد ألغيت .

التقى حاجبا (فائق) فى توتر ، فى حين سأل (قدرى) :

ـ هل .. هل علم (أدهم) بهذا ؟!

هزَّ (محمود) رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ لقد أبلغونى بالأمر منذ دقائق فحسب ، وسيادة العميد (أدهم) لم يعد بعد ، هو أو المقدَّم (منى) .

سأله (قدرى) :

ـ وهل طلبوا منك إلغاء موعدى مع (أوكونور) ؟!

قال (محمود) فى حزم :

ـ لقد أبلغونى أن المهمة قد ألغيت ، وهذا يعنى ضمنيًا أن ...

قاطعه (قدرى) فى عصبية :

ـ لست أتحدَّث عن تقديراتك الشخصية للموقف ، وإنما عما حملته الأوامر من (القاهرة) .

تنهَّد (محمود) ، وتبادل نظرة تشفّ عن نفاد الصبر ، مع (فائق) ، قبل أن يقول :

- الأوامر لم تطالب بإلغاء الموعد مباشرة .

عدَّل (قدرى) رباط عنقه ، وهو يقول :

- عظيم .. هذا يعنى أنه ينبغى أن نتحرك على الفور ، للحاق بموعدنا .

تبادل الرجلان نظرة أخرى ، قبل أن يقول (فائق) فى صرامة :

- اسمع يا أستاذ (قدرى) .. نحن ندرك جيدًا عبقريتك المدهشة ، فى مجال التزييف والتزوير ، ومدى أهمية موقعك فى الإدارة ، ولكننا ضابطا مخابرات محترفان ، وندرك جيدًا ما تعنيه الأوامر بإلغاء مهمة ما .

قال (قدرى) فى حدة :

- وأنا لست ضابطًا محترفًا مثلكما ، ولكننى أدرك جيدًا أن (أدهم صبرى) هو القائد الفعلى للمهمة ، أو لمرحلة التمهيد للمهمة ، كما يحلو لكما تسميتها ، وهو وحده الذى يملك حق تقدير الموقف ، وتحديد ما إذا كنا سنلغى موعدنا مع (أوكونور) أم لا ، وما دام (أدهم) ليس هنا ، فعلينا أن نمسك العصا من منتصفها ، حتى لا نفسد قراره ، أيًا كان ، فلو

أننا تجاهلنا موعدنا مع (أوكونور) ، وكان هو يرغب فى إتمامه ، لن يعود بوسعنا التراجع ، أما لو أتممنا اللقاء ، فسيمكننا تجاهل الأمر كله فيما بعد ، مع انخفاض احتمالات الخسارة إلى الحد الأدنى .

حدَّق الرجلان فى وجه (قدرى) لحظة فى دهشة ، ثم تبادلا نظرة أخرى صامتة ، قبل أن يضع (محمود) قبعة السائق على رأسه ، وينحنى (فائق) ، قائلاً :

- تفضَّل يا مستر (سوريال) ، حتى يمكننا اللحاق بموعدك مع (سام أوكونور) .

وهنا ..

هنا فقط ، تنفَّس (قدرى) الصعداء ..

وتصاعدت ثقته بنفسه فى أعماقه ..

إلى أقصى حد ..

★ ★ ★

لم يكد بصر (أدهم) يقع على جزيرة (هيل) ، التى بدت فى الأفق ، حتى انتفض قلبه بين ضلوعه فى عنف ، وهو يغمغم :

- ها هى ذى .

تطلَّعت (منى) إلى الجزيرة فى شغف ، والشمس تبدأ رحلتها نحو الغروب ، وسألته :

ـ هل تعتقد أننا نستطيع الهبوط على سطحها ؟!
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ هناك مهبط للطائرات .
لاذت بالصمت التام ، وهو يقترب من الجزيرة أكثر وأكثر ، وراح ذهنها يدير السؤال فى نفسها ، فى كل خلايا مخها الرمادية .
ترى هل لقيت (سونيا جراهام) مصرعها بالفعل ؟!
ولو أنها نجت من ذلك الانفجار ، فهل من الممكن أن تكون هى نفسها السنيورا ؟!
هل ؟!
كان الجواب يبدو لها مستحيلاً لحظة ، ثم لا يلبث أن يبدو منطقيًا للغاية ، فى اللحظة التالية مباشرة !!
ولم يمكنها أن تستقر على رأى ما أبدًا ..
لذا فقد تركز بصرها وتفكيرها كله على الجزيرة ..
كل شىء أمامها ، كما وصفه (أدهم) تمامًا ..
الجزيرة ، بأحراشها الممتدة ، من شاطئها ، وحتى تلك الدائرة الزلقة ، المحيطة بالقلعة الشبيهة بالحصن على القمة ..
كل شىء يبدو وكأنه يتحدى الزمن ..

أو أن الزمن نفسه قد عاد بهما إلى لحظة البداية ..
تلك اللحظة ، التى هبط فيها (أدهم) على الجزيرة ..
وبدأ المواجهة الأخيرة مع (سونيا) ..
تلك المواجهة ، التى انتهت بكارثة ..
انتفض جسدها فى عنف ، عندما بلغت بأفكارها تلك النقطة ، فهزت رأسها فى قوة ، وكأنها تنفض عنه أفكارها ، و (أدهم) ينخفض بالطائرة ، قائلاً :
ـ ها هو ذا المهبط هناك .. أتعشم أن يكون ما زال صالحًا للهبوط .
تطلعت إلى المهبط ، مغمغمة :
ـ إنه يبدو لى كذلك .
انخفض بالطائرة أكثر وأكثر ، وهو يدير عينيه فيما حوله فى حذر ..
كل شىء يبدو له بالفعل كما كان ..
كل شىء ..
وكأن الفترة التى مضت ، منذ انتهى ذلك الصراع ، لم تترك أدنى أثر على القلعة ، أو المنطقة المحيطة بها ..
وكان هذا يثير دهشته ..

وقلقه ..

وحذره ..

حتى المهبط أمامه كان ناعمًا ممتدًا ، لا تعوقه الرمال ، أو بقايا الأغصان ، أو حتى أوراق الشجر الجافة ..

وفى براعة ، رفع (أدهم) مقدمة الطائرة ، ليهبط بها فى نعومة ، ويتركها تنطلق بعض الوقت على المهبط ، قبل أن تتوقف تمامًا ..

ولعشر ثوان تقريبًا ، ظلّ هو و (منى) داخل الطائرة ، يتطلّعان إلى ما حولهما فى قلق بالغ ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هيّا .

قفزا خارج الطائرة ، واستلّ (أدهم) مسدسه من حزامه ، فسألته (منى) ، وهى تستلّ مسدسها بدورها :

ـ هل تتوقّع وجود أحد هنا ؟!

أجابها فى حسم :

ـ ينبغى أن نتوقّع أى شىء .

وافقته بإيماءة من رأسها ، وتبعته فى خفة ، وهو يتجه نحو الأشجار المحيطة بالمهبط ..

كان يشعر بتوتر بالغ ، وهو يعبر تلك المنطقة ، وكأنما يسترجع ذهنه عشرات الذكريات البغيضة ..

ومن بعيد ، بدت له القلعة ، وهى تطلّ عليهما ، من خلف قمم الأشجار ، وكأنها تسخر منهما ، وتعلنهما أنها الفائزة ، مهما طال الزمن .

وعلى قمتها ، برز حرف سين باللغة الإنجليزية (S) ، على هيئة أفعى تبتلع ذيلها فى شراهة ووحشية ..

نفس شعار منظمة (سونيا جراهام) السابقة ..

منظمة (سناك) ..

وفى قلق ، تلفتت (منى) حولها ، قائلة :

ـ كل شىء هادئ للغاية .

غمغم (أدهم) :

ـ لا تجعلى المظاهر تخدعك .

سألته متوترة :

ـ هل تشعر بوجود أحد حولنا ؟!

كان هذا الشعور يراوده بالفعل ، منذ اقتحما منطقة الأشجار ، إلا أنه لم يجد دليلاً واحدًا يؤيّد إحساسه هذا ، فغمغم :

- كلاً .

سألته :

- فيم التوتُّر إذن ؟!

صمت لحظة ، قبل أن يقول :

- لست أدرى .

ثم توقَّف ، والتقط نفسًا عميقًا ، من هواء الغابة الرطب ، وقال ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة متوتِّرة :

- يبدو أن كل شىء هنا أصبح يثير أعصابى .

ابتسمت فى حنان ، قائلة :

- إنها تلك الذكريات .

أومأ برأسه موافقًا ، وقال :

- نعم .. إنها هى ، وربَّما ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، فهتفت :

- ماذا هناك ؟! هل ..

قاطعها بإشارة صارمة ، وهو ينظر إلى شىء ما خلف ظهرها ، ثم اندفع نحوها بغتة ، فهتفت :

- (أدهم) ؟! ماذا هناك ؟!

وثب متجاوزًا إياها ، فى حركة بالغة الخفة



ومن بعيد ، بدت له القلعة ، وهى تطلّ عليهما ، من خلف قمم الأشجار ، وكأنها تسخر منهما ..

والرشاقة ، وانطلقت من حلقها شهقة ، وهى تلتفت إليه ، عندما بلغت مسامعها تأوهات مكتومة ، فرأته ينتزع شخصًا ما من بين الأشجار ، وذلك الشخص يصوِّب إليه مدفعًا آليًّا ، ويصرخ :

- اتركنى ، وإلا ...

أخرسه (أدهم) بلكمة كالقنبلة ، فى أنفه مباشرة ، ثم لوى معصمه فى قوة ، ليجبره على إفلات مدفعه الآلى ، قبل أن يهوى على معدته بلكمة ، ساحقة ، ثم يحمله بحركة سريعة ، ويلقى به بعيدًا فى عنف ..

وارتطم الرجل بإحدى الأشجار ، وأطلق صيحة ألم ، قبل أن يسقط أرضًا ، و (منى) تهتف مرة أخرى :

- ما هذا يا (أدهم) ؟!

لم تكد عبارتها تكتمل ، حتى برز فجأة عشرة رجال ، يرتدون كلهم الزى نفسه ، الذى يرتديه ذلك الرجل ، وخرجوا من بين الأشجار فى آن واحد ، بحركة حادة عنيفة ، وكلهم يصوبون مدافعهم الآلية نحو (أدهم) و (منى) ..

مباشرة ..

★ ★ ★

٤ - المفاجأة ..

على الرغم من أن (قدرى) ظلَّ يشعر بالقلق ، طوال الطريق ، من مبنى (بلازا) حيث يقيم ، وحتى مبنى (سيتاديل) ، إلا أنه أدرك فى اللحظة التى توقَّفت فيها السيارة ، أمام المبنى الأخير ، أن كل ما كان يشعر به من قبل ، ليس سوى انفعالات بسيطة ، مقارنة بتلك الارتجافة ، التى سرت فى جسده بعنف ، وكادت تقتلعه من مقعده ، ليعدو مبتعدًا عن المكان ، ويقسم ألا يقترب منه ثانية قط ، مادام على قيد الحياة ..

وفى رفق ، ربَّت (فائق) على ركبته ، هامسًا :

- استعد يا رجل .. لقد بدأ العرض .

غمغم (قدرى) ، فى توتر بالغ :

- لو أن هذا مجرَّد عرض ، فنحن فى مسرح الرعب .

ربَّت (فائق) على ركبته مرة أخرى ، وهو يهمس :

- اطمئن .. هذا الجزء من المهمة بعيد عن

المخاطر تمامًا .. إنه مجرَّد تقييم لمقر الخصم ، وأسلوبه فى التعامل فحسب .

فتح (محمود) باب السيارة ، فى تلك اللحظة ، وانحنى شأن أى سائق محترف ، وهو يقول بالإنجليزية ، بصوت تعمَّد أن يسمعه الجميع :

- وصلنا إلى (سيتاديل) يا مستر (سوريال) .

سرت ارتجافة أخرى فى جسد (قدرى) وهو يغادر السيارة ، قائلاً :

- انتظرنا يا رجل .. أعتقد أننا لن نتغيَّب طويلاً .

أغلق (محمود) باب السيارة خلفهما ، وهو يقول بابتسامة هادئة :

- بالتأكيد يا مستر (سوريال) .

استقبلهما حارس المدخل بابتسامة هادئة مرحِّبة ، وهو يسألهما :

- مرحبًا بكما فى (سيتاديل) ، ألديكما موعد سابق ؟

أجابه (فائق) بإنجليزية سليمة :

- مستر (سوريال) .. (موريس سوريال) ، على موعد مع مستر (أوكونور) فى السادسة .

راجع حارس المدخل مفكرته الصغيرة ، قبل أن يقول ، بنفس الابتسامة الهادئة .

- هذا صحيح ، ولكن الأوامر تشمل مستر (سوريال) وحده .

أجابه (فائق) فى حزم :

- إننى سكرتيره الخاص ، ومترجمه ؛ فالسيِّد (سوريال) لا يجيد الإنجليزية إلى حد التفاوض .

صمت الحارس لحظة ، قبل أن يدير عينيه إلى (قدرى) ، الذى لوَّح بكفه فى عظمة ، قائلاً :

- لقد تلقيت تعليمى كله فى مدارس فرنسية .

صمت الحارس لحظة أخرى ، قبل أن ينحنى فى احترام ، قائلاً :

- هل يسمح لى مستر (سوريال) بإجراء مكالمة سريعة ، و ....

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع أزيز من جهاز الاتصال الداخلى ، المثبت على الجدار إلى جواره ، فأسرع يضغط زره ، قائلاً :

- أوامرك يا مستر (أوكونور) .

أتاهم صوت (أوكونور) ، وهو يقول بلهجة آمرة :

- مستر (سوريال) وسكرتيره الخاص يصعدان إلى مكتبى ، على الرحب والسعة .

قال الحارس فى سرعة :

ـ سمعًا وطاعة يا مستر (أوكونور) .

ثم التفت إليهما ، وانحنى أكثر ، مستطردًا :

ـ تفضلا .

عبر (قدرى) و (فائق) المدخل الأنيق ، إلى صالة استقبال واسعة ، وهمس الأول لرفيقه :

ـ هل لاحظت ما حدث ؟! (أوكونور) هذا يراقب مدخل بنايته .

أجابه (فائق) فى حزم :

ـ دعنا نناقش هذا فيما بعد ، فربما يراقب كل مكان أيضًا .

استقبلتهما فتاة باهرة الحسن ، بابتسامة عذبة ساحرة ، وهى تقول :

ـ مستر (سوريال) هلاّ تبعتمانى ؟!

خفق قلب (قدرى) لحسنها ، وهو يهتف :

ـ بالتأكيد .

رمقه (فائق) بنظرة محذّرة ، وهما يتجهان معها إلى ممر جانبى ، ينتهى بمصعدين متجاورين ، أحدهما أحمر اللون ، والآخر أخضر اللون ، وأشارت الفتاة

إلى المصعد الأحمر ، وهى تقول بنفس الابتسامة :

ـ ستستقلاّن المصعد الأحمر ، الخاص بالسيّد (أوكونور) شخصيًا ، وهو سينتظركما فى مكتبه .

وقف الاثنان أمام المصعد ، الذى انفتحت أبوابه فى نعومة ، ودون أدنى صوت ، ثم دلفا إليه ، و(فائق) يلقى نظرة سريعة فاحصة على إطاره ..

لم يكن مجرّد إطار عادى ، وإنما بوّابة كشف معادن ، مصنوعة بأناقة شديدة ، بحيث يمكنها كشف أية أسلحة ، يمكن أن يحملها راكب المصعد ، دون أن ينتبه إلى هذا ..

ومن حسن الحظ أن (فائق) لم يكن يحمل أية أسلحة ..

وبينما ينقلهما المصعد إلى الطابق الأربعين ، كان (قدرى) يرغب فى إلقاء ألف سؤال وسؤال ، إلا أنه لم ينطق بأى منها ، خشية وجود أجهزة تنصّت ومراقبة ، حتى بلغ بهما المصعد حجرة (أوكونور) الواسعة ، وهناك استقبلهما (بيركينز) بابتسامة هادئة ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بكما على قمة (سيتاديل) .. مستر (أوكونور) فى انتظاركما .

لم تفت (فائق) تلك النظرة الفاحصة ، التى تأملهما بها (بيركينز) ، وهو ينطق عبارته هذه ، وكأنه يبحث عن أية أسلحة أخرى ، يمكن أن يخفياها تحت ثيابهما ..

أما (سام أوكونور) نفسه ، فقد استقبلهما بابتسامة هادئة ، وصافحهما فى رصانة ، ثم دعاهما للجلوس ، وهو يقول :

ـ يدهشنى فى الواقع أنك لا تجيد لغة التفاوض يا مستر (سوريال) ، فرجل أعمال قديم مثلك ، لابد أنه قد احتك بالعديد من الشركات الأجنبية من قبل .

هزّ (قدرى) كتفيه ، وأشار إلى (فائق) قائلاً :

ـ (فائق) يتولى هذه الأمور دائمًا .

أومأ (أوكونور) برأسه إيجابًا ، وهو يغمغم :

ـ لا بأس .. لا بأس .

ونقل بصره بينهما بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يسأل فى اهتمام :

ـ والآن دعنا نتحدث عن العمل .. قل لى يا مستر (سوريال) .. ما صورة التعاون التى تتصوّرها بيننا ؟!

اعتدل (قدرى) فى مجلسه ، وهو يقول :

ـ الواقع أن شركتى تتعامل ، منذ زمن طويل ، مع منتجات شركة (كاتربيلر) ، وهى شركة ضخمة كما

تعلم ، ولكن أسعار معداتها تضاعفت للغاية ، فى الآونة الأخيرة ، وخاصة الـ .. الـ .. أقصد تلك الآلات الكبيرة ، التى تستخدم فى الحفر .

أسرع (فائق) يترجم العبارة ، فأومأ (أوكونور) برأسه ، قائلاً :

ـ نعم .. نعم .. يمكننى فهم هذا .

تابع (قدرى) فى سرعة ، قبل أن ينسى ما ظلّ يحفظه طوال النهار .

ـ لذا فقد رأيت أن أنتقل إلى شركة أخرى ، تتميّز بإنتاج معدات بنفس الجودة ، مع استعداد أكبر للتعاون ، ومنح بعض الخصومات والتسهيلات .

تطلّع إليه (أوكونور) بضع لحظات فى صمت ، ثم قال فى بطء :

ـ ولماذا نحن بالذات يا مستر (سوريال) ؟! هناك شركات عديدة تنتج المعدات الثقيلة .. حتى شركة (رولز رويس) نفسها أنتجتها ، فلماذا وقع اختيارك على شركتنا .

أجابه (قدرى) :

ـ لأنكم الأفضل بالتأكيد .

رفع (أوكونور) أحد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ فقط ؟!

لم يدر (قدرى) ما الذى يقصده (أوكونور) بالضبط ، فقال :

ـ الشركات الأوربية ، مثل (رولز رويس) ، لن توافق على منحنا أية خصومات أو تسهيلات ، فأنت تعرف أسلوب الأوروبيين وتعنتهم ، أما أنتم أيها الأمريكيون ، فلديكم مرونة أكبر فى عقد الصفقات التجارية .

ابتسم (أوكونور) ، متمتمًا :

ـ بالتأكيد يا مستر (سوريال) .. بالتأكيد .

ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام أكبر :

ـ وكم تتوقع حجم التعامل السنوى المنتظر بيننا ؟!

أجابه (قدرى) فى سرعة ، قبل حتى أن يكتمل سؤاله .

ـ حوالى عشرة ملايين دولار ، و ...

ارتبك فجأة ، وهو يبحث عن الكلمات المناسبة ، قبل أن يوجّه حديثه إلى (فائق) بالعربية قائلاً :

ـ أخبره أن حجم التعامل يمكن أن يتضاعف ، لو

أنه سمح لنا بتأجير معداته إلى شركات أخرى ، ومنحنا فترة سماح ، قبل سداد الدفعة الأولى .

ترجم (فائق) العبارة للملياردير الأمريكى ، الذى استمع إليها جيدًا ، ثم تراجع فى مقعده ، وقال فى هدوء شديد :

ـ عرض جيد يا مستر (سوريال) .. سيبدأ القطاع المالى فى دراسته على الفور ، لاتخاذ القرار المناسب بشأنه .

نطقها على نحو يوحى بانتهاء المقابلة ، فنهض (قدرى) و(فائق) ، وسأله الأول فى اهتمام يبدو حقيقيًا :

ـ ومتى نتلقّى ردك يا مستر (أوكونور) ؟

أجابه (أوكونور) ، وهو يصافحه فى هدوء :

ـ أقرب مما تتصور يا مستر (سوريال) .. إننى رجل يتخذ قراراته فى سرعة وحزم .

ابتسم (قدرى) ، قائلا :

ـ عظيم .. عظيم .

ظلت ابتسامته تملأ وجهه ، حتى هبط بهما المصعد إلى قاعة الاستقبال ، وغادرا المبنى كله ، وما إن استقلا السيارة ، حتى سألهما (محمود) :

ـ كيف سار الأمر هناك ؟!
عقد (فانق) حاجبيه ، دون أن يجيب ، فى حين قال (قدرى) ، وهو يتنفس الصعداء :
ـ الواقع أن الأمر لم يكن بالصعوبة التى أتصورها .
فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (أوكونور) يراقب ابتعاد السيارة عن مبناه ، على شاشة رصد ملونة ، و (بيركينز) يسأله :
ـ الرجل بدا لى طبيعيًا للغاية يا مستر (أوكونور) .. لماذا أثار شكوكك إذن ؟!
أجاب (أوكونور) فى هدوء ، وهو يضغط أحد الأزرار أمامه ، ليعيد عرض ذلك اللقاء ، الذى انتهى منذ قليل ، على الشاشة نفسها :
ـ تابع سكرتيره ، وتطلعه الدائم لما حوله ، وستجد أنه أقرب إلى رجل أمن ، يدرس المكان الذى يجلس فيه ، منه إلى سكرتير رجل أعمال ، يتابع حديث مديره ، ليترجم ما يستغلق عليه من كلمات .
راقب (بيركينز) المشهد لبعض الوقت ، قبل أن يهز كتفيه ، قائلاً :
ـ ربما انبهر بالمكان فحسب .

ابتسم (أوكونور) فى سخرية ، وهو يقول :
ـ ربما ، ولكن هذا ليس السبب الرئيسى لشكوكى .
سأله (بيركينز) فى اهتمام :
ـ وما هو إذن ؟!
ضاقت عينا (أوكونور) ، وهو يقول :
ـ ذلك المصرى قال : إنه يمارس تلك المهنة ، منذ سنوات طويلة ، وأن سكرتيره يتولى كل الأمور الفنية .
غمغم (بيركينز) ، وهو يميل نحوه :
ـ هذا صحيح .
اتسعت ابتسامة (أوكونور) الساخرة ، مع قوله :
ـ من العجيب ، والحال هكذا ، أن كليهما لم ينتبه إلى أمر بالغ الأهمية .
أطلت لهفة متسائلة ، من عينى (بيركينز) ، فتابع (أوكونور) فى حزم :
ـ إن شركة (رولز رويس) لم تنتج المعدات الثقيلة قط .
اتسعت عينا (بيركينز) فى انبهار ، وهو يعتدل فى وقفته بحركة حادة ، قبل أن يهتف فى حماس :
ـ يا للشيطان ! إنك عبقرى يا سيدى .. عبقرى بالفعل !
لوح (أوكونور) بكفه ، قائلاً :

- أرسل بعض رجالنا ؛ لمراقبة ذلك الرجل يا (بيركينز) ، والتقط صورته وصورة سكرتيره ، من هذا الفيلم ، وأرسل الصور إلى أحد رجالنا فى (القاهرة) ، أو أرسل بها مندوبًا خاصًا إلى (القاهرة) ، على أوّل طائرة ، ليجمع كل المعلومات الممكنة عن (موريس سوريال) ، وخاصة صورته ، لنرى هل تشبه صورة ذلك البدين أم لا ، واجمع أيضًا كل التحريات الممكنة عن سكرتيره المزعوم هذا .

وتراجع فى مقعده ، وازداد ضيق عينيه ، وهو يضيف :

- لابد أن نعرف ماذا وراء هذا المليونير المزعوم ، ولماذا سعى للوصول إلى هنا ؟! لماذا ؟!

لم يلق (بيركينز) أى سؤال آخر ..

لقد شدّ قامته ، وأسرع يغادر المكان ، لينفذ كل ما أمر به (سام أوكونور) ..

بمنتهى الدقة ..

والسرعة ..

* * *

تسعة من الرجال التفّوا حول (أدهم) و (منى) ، وصوّبوا نحوهم مدافعهم الآلية .

لقد أحصاهم (أدهم) بالتفافة سريعة ، وقاس المسافة بينه وبينهم ، قبل أن يهتف فى حزم صارم :

- الآن .

وقبل حتى أن تنتهى كلمته ، كان قد وثب بالفعل إلى اليمين ..

وفى نفس اللحظة ، وبدقة مذهلة ، وثبت (منى) إلى اليسار ..

ومع قفزتهما ، انطلقت رصاصات مسدسيهما ..

وقبل أن تكتمل الثانية الأولى من القتال ، كانت رصاصات (أدهم) قد أطاحت بثلاثة مدافع آلية ، وهو ينزلق فى خفة ، ليركل المدفع الآلى من يد الرابع ، ثم يدور حول نفسه بسرعة مذهلة ، ويركل أحد الرجال فى وجهه ، قبل أن تنطلق قبضتاه فى آن واحد ، فتحطّم إحداهما أنف أحد الرجال ، وتكسر الأخرى أسنان رجل ثان ..

أما (منى) ، فقد خفضت جسدها بحركة رشيقة ، بعد أن حطمت يد أحد الرجال ، برصاصة من مسدسها ، وأطاحت بالمدفع الآلى من يد الثانى ، وتفادت بانخفاضها رصاصات مدفع الثالث ، قبل أن تضرب ساقيه بقدميها ، ثم تنقضّ عليه ، وتقبض

على معصمه فى قوة ، لتبعد فوهة مدفعه عنها ، وهى تهوى على فكه بلكمة كالقنبلة ..

كان من الواضح أن الرجال التسعة غير مدرَّبين بشكل كافٍ ، يسمح لهم بمواجهة خصمين محترفين ، مثل (أدهم) و (منى) ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد وثب اثنان منهم ، يستعيدان مدفعيه ، الآليين ، مع انشغال (أدهم) و(منى) بالقتال ، وهتف أحدهما للآخر :

ـ أطلق النار عليهما مباشرة .. من الواضح أنهما بالغا الخطورة .

أدار الثانى فوهة مدفعه بسرعة ، نحو (أدهم) و (منى) .

وتحرَّك (أدهم) فى خفة ، ليتفادى الرصاصات ، ودارت (منى) حول نفسها ..

وانزلقت قدمها فجأة على بعض الأوراق الجافة .

واختلَّ توازنها .

وسقطت .

وانخفضت فوهة المدفع الآلى نحوها ، و ...

« ماذا يحدث هنا ؟! »

انطلقت الصيحة فجأة ، بصوت متوتر مذعور ، فتجمَّد معها الرجلان ، وهتف أحدهما فى عصبية شديدة :

ـ إنهما دخيلان يا مستر (بيشوب) .

ظهر من بين الأشجار فجأة رجل أنيق ، يهتف بدهشة بالغة :

ـ دخيلان ؟!

وقع بصره على (أدهم) وهو يعاون (منى) على النهوض ، فاستطرد بدهشة أكبر :

ـ من أنتما ؟! وماذا تفعلان هنا ؟!

صاح به (أدهم) ، وهو يصوِّب مسدسه إليه :

ـ بل من أنت ؟! وماذا تفعل فى جزيرة (هيل) ؟!

تراجع الرجل مذعورًا ، وهو يجيب :

ـ إننى ... إننى (بيشوب) .. مدير المشروع السياحى .

بدت الدهشة على وجه (منى) ، فى حين انعقد حاجبا (أدهم) فى توتر وحذر ، وهو يقول :

ـ المشروع السياحى ؟! أى مشروع سياحى ؟!

قال الرجل فى توتر :

ـ مشروع منتجع (هيل) السياحى .. إننا نعمل فيه منذ أكثر من ثلاثة أشهر .. ألم يبلغكما أمره ؟!

تبادل (أدهم) و (منى) نظرة متوترة ، قبل أن تهتف الأخيرة .

ـ ولكن رجالك كادوا يقتلوننا .

لوَّح بكفيه ، قائلاً :

ـ لقد هبطتما على الجزيرة دون تصريح مسبق ، وهذه أملاك خاصة ، وهم طاقم الأمن .

هتف أحد الرجال فى حنق :

ـ إننا لم نكن ننوى إطلاق النار .. لقد كنا نحاصرهما فحسب ، ولكنهما راحا يقاتلان فى شراسة ، كما لو أننا فى قلب حرب طاحنة .

وهتف آخر :

ـ ولقد حطما يد أحدنا .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ كانت حالة دفاع عن النفس .

لوَّح الرجل بكفه ، قائلاً فى توتر بالغ :

ـ لا بأس .. لا بأس .. كل شىء يمكن معالجته .. لن يرتاح المالك لحدوث أية مشكلات هنا ، قبل الافتتاح الرسمى .. كل شىء يمكن معالجته .

تنهَّد (أدهم) ، وخفض مسدسه ، وهو يقول :

ـ سندفع التعويض المناسب ، مع كل مصاريف العلاج ، و ...

قاطعه (بيشوب) فى عصبية :

ـ لا .. لا .. سنتكفَّل نحن بكل شىء .

وأشار لرجال الأمن بالانصراف ، وهو يسألهما :

ـ ولكن ما الذى أتى بكما إلى هنا ؟! إننا جزيرة منعزلة تمامًا ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يعيد مسدسه إلى حزامه :

ـ كنا فى طريقنا إلى (هونولولو)(*) ولكن يبدو أننا ضللنا الطريق ، فوجدنا أنفسنا هنا .

وأضافت (منى) ، وهى تعيد مسدسها إلى حزامها بدورها :

ـ لقد أدهشنا فى الواقع وجود هذه الجزيرة ، فهى لا توجد على أية خرائط ملاحية !

أشار الرجل بسبَّابته ، هاتفًا :

(*) هونولو : مدينة صغيرة ، هى عاصمة ولاية (هاواى) ، وأكبر موانيها ، تتصل بـ(أمريكا) و(استراليا) ، والشرق الأقصى ، بخطوط بحرية وجوية ، تقع وسط سهل ساحلى ضيق ، بها جامعة (هاواى) ، وعدة متاحف ، وأكاديمية العلوم ، ومعهد للأحياء المائية ، تقع بالقرب منها قاعدة (بيرل هاربور) البحرية .

- ولكنها أشهر من نار على علم .. هل نسيتما محاولة السيطرة على العالم ، التى بدأت منها ؟!

قال (أدهم) فى هدوء :

- ومن يمكنه نسيان أمر كهذا ؟

قال (بيشوب) فى حماس :

- بالتأكيد .. لقد شغلت تلك القضية العالم كله لبعض الوقت ، قبل أن يهبط رجال المظلات هنا ، ويحسمون الأمر تمامًا .

رفعت (منى) أحد حاجبيها ، وقالت :

- هكذا ؟! إذن فقد حسمها رجال المظلات الأمريكيون .

هتف فى حماس :

- بالتأكيد .. من غيرهم يمكن أن يحسم أمرًا كهذا .

ثم تابع ، مشيرًا إلى القلعة ، التى بدت أشبه بظلّ مخيف ، مع غروب الشمس :

- لقد استغللنا تلك الشهرة ، لنجعل من جزيرة (هيل) أشهر منتجع سياحى ، فى المحيط الهادى كله .

وسألهما فى لهفة :

- هل ترغبان فى مشاهدة ما فعلناه ؟!

تبادلا نظرة سريعة ، قبل أن يقول (أدهم) :

- بالتأكيد .. سيكون هذا ممتعًا للغاية .

قادهما (بيشوب) فى حماس إلى الطريق الوحيد ، الذى يشق الدائرة الزلقة ، إلى مدخل القلعة ، وهو يقول :

- لقد بذلنا قصارى جهدنا ؛ لنحافظ على الطابع الأصلى للقلعة ، التى ستتحوَّل إلى الفندق الوحيد للجزيرة ، والذى يطلّ على الشاطئ الدائرى للجزيرة ، وسنشقّ طريقًا ممهَّدًا للسيارات ، وسط الأشجار ، أما الشاطئ نفسه ، فسيصبح أفضل الشواطئ السياحية على الإطلاق ، بعد أن يتم تزويده بمرسى خاص ، وأحواض سباحة للأطفال ، وألعاب مائية ، و ...

قاطعه (أدهم) فى هدوء :

- هل يمكننا مشاهدة القلعة من الداخل ؟!

أجابهما (بيشوب) فى حماس :

- بالتأكيد .. ستروق لكما التحسينات التى أجريناها .

قادهما إلى داخل القلعة ، وراح يشرح لهما كل ما يمران به ، و (منى) تتابعه فى شغف ، وتختلس النظر ، بين الحين والحين ، إلى (أدهم) ، الذى بدا

وكأن كل شبر من المكان يعيد إليه ذكرى ما ، حتى بلغوا وكر (سونيا) ، فانعقد حاجباه فى شدة ، وبدا عليه التوتر فى وضوح ، و (بيشوب) يقول :

ـ هذا الموقع بالذات احتاج منا إلى جهد كبير ؛ فقد انفجرت فيه قنبلة قوية ، فى أثناء محاولة الاقتحام ، وكانت الجدران منهارة تقريبًا .

قال (أدهم) فى حرص :

ـ آه .. تذكرت هذا .. لا ريب فى أنكم قد عثرتم على ذلك النفق ، الذى استخدمته زعيمة المنظمة ، للفرار من هنا .

حدّق الرجل فى وجهه بدهشة بالغة ، وهو يقول :

ـ النفق ؟! أى نفق ؟! إننا لم نعثر هنا على أية أنفاق .

خفق قلب (منى) فى قوة ، عندما نطق عبارته ، فى حين انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! ولكننى قرأت هذا فى مكان ما .

هزّ الرجل رأسه نفيًا فى قوة ، وقال :

ـ مستحيل يا سيّدى ! مستحيل تمامًا ! إننى أحفظ عن ظهر قلب ، كل ما قيل أو نُشر حول هذا الأمر ،

باعتبارى المسئول الأوّل عن المكان ، ومن الطبيعى أن يلقى الزوار عشرات الأسئلة حوله ، وأنا واثق من أن أحدًا لم يشر قط إلى نجاة الزعيمة ، أو إلى وجود أية ممرات أو أنفاق سرية ، بل لقد أكّدت كل الجهات المسئولة أنها قد لقيت مصرعها هنا ، مع طفل صغير .

انتفض جسد (أدهم) فى عنف ، وهو يردّد :

ـ طفل صغير ؟!

تطلّع إليه الرجل فى حيرة ، وهو يقول :

ـ نعم .. لقد عثروا على أشلائهما هنا ، حسبما ذكرت التقارير الرسمية .

انفرجت شفتا (أدهم) بحركة حادة ، إلا أنه لم ينطق بحرف واحد ..

كان يريد أن يخبر الرجل أن هذا غير صحيح ، وأنه قد قرأ كل التقارير الرسمية بنفسه ، ولم يجد بها إشارة واحدة حول العثور على الأشلاء ..

أية أشلاء ..

وربما كان هذا هو مصدر شكوكه بالتحديد .

لقد خاض عشرات المعارك ، وشهد عشرات الانفجارات ..

ومهما بلغت قـوة الانفجار أو شدته ، كانت هناك دائمًا أشلاء للضحايا ..

مهما كان عنف الموقف ..

أما فى هذه الحالة بالتحديد ، فلم يتم العثور على أدنى أثر ..

رجال الجيش الأمريكى قالوا : إن الانفجار كان من العنف ، حتى إنه قد سحق كل من بداخل الحجرة سحقًا ، دون أن تتخلف عنهم أية آثار أو أشلاء ..

ولكنه لم يقتنع بهذا التفسير ..

لم يقتنع به قط ..

« أعتقد أن لـدى نسـخة مـن تلك التقـارير الرسمية .. »

التفت (أدهم) إلى (بيشـوب) بحركـة حـادة ، عندما نطق هذه العبارة ، وقال فى صرامة :

ـ حقًا ؟!

تحرك الرجل نحو مكتـب جـانبى ، فى خطوات واسعة سريعة ، والتقط منه ملفًا كبيرًا ، قلّب أوراقه فى سرعة ، قبل أن يلتقط منها ورقتيـن ، ويـنـاول (أدهم) إياهما ، قائلاً :



والتقط منه ملفًا كبيرًا ، قلّب أوراقه فى سرعة ، قبل أن يلتقط منها ورقتين ، ويناول (أدهم) إياهما ..

- ها هو ذا التقرير الخاص بالانفجار .. ستجد أنه قد ذكر الأمر فى وضوح .

التقط (أدهم) الورقتين ، ولم يكد بصره يقع عليهما ، حتى أدرك على الفور أنهما ذلك التقرير الرسمى ، الذى طالعه أكثر من مائة مرة ..

ولكن حاجباه انعقدا فى شدة ..

ففى تلك النسخة ، وفى نفس الموضع ، الذى كان يؤكد عدم العثور على أية آثار ، كانت هناك عبارة واضحة صريحة ، تشير إلى العثور على أشلاء امرأة وطفل ، وسط الحطام والدماء ..

وقرأ (أدهم) العبارة مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

ويبدو أن (بيشوب) قد أدرك حيرته وتوتره ، فقد أشار بيده ، قائلاً :

- هذه أحدث نسخة من التقرير ، بعد أن تم رفع الأنقاض ، وكشف الصورة كاملة .

ألقت (منى) نظرة قلقة على (أدهم) ، قبل أن تسأل الرجل :

- هل تعنى أنهم قد أعادوا كتابة التقرير ، بعد رفع الحطام ، والعثور على الأشلاء ؟!

أجابها فى سرعة :

- بالتأكيد .

أعاد إليه (أدهم) الورقتين فى بطء وشرود ، خشيت (منى) أن ينتبه إليهما الرجل ، فأسرعت تقول :

- أهنئك يا مستر (بيشوب) .. إنه مشروع رائع بحق .

أشار الرجل بسبابته فى حماس ، وهو يقول :

- ليس هذا فحسب ، وإنما يتناسب تمامًا مع اسم شركتنا ، فالقلعة على القمة تبدو أشبه برمز مجسم لمجموعة شركات (سيتاديل)(*) .

انعقد حاجبا (منى) فى شدة ، والتفت بحركة حادة إلى (أدهم) ، الذى سأل (بيشوب) فى اهتمام :

- مجموعة شركات (سيتاديل) .. هل تعنى أن

(*) كلمة (سيتاديل) بالإنجليزية (Citadel) تعنى القلعة أو الحصن .

هذه الجزيرة مملوكة الآن للمليادير الأمريكى (أوكونور) .

ابتسم (بيشوب) ، وهو يومئ برأسه قائلاً :

- بالضبط .. هذه الجزيرة ، بكل ما عليها ، ملك السيد (أوكونور) .. (سام أوكونور) ..

وكانت مفاجأة قوية بالفعل ..

مفاجأة قد تعنى الكثير والكثير ..

بل وقد تقلب الأمور رأسًا على عقب ..

كل الأمور .

★ ★ ★



٥ - مَــنْ ؟

على الرغم من تساقط الثلوج بشكل مستمر ، منذ أكثر من ساعتين ، إلا أن السنيورا ظلت واقفة أمام نافذة مكتبها ، تتطلع إلى الطريق ، الممتد لكيلومتر كامل ، أمام مدخل المفاعل النووى ، وهى تنفث دخان سيجارة تلو الأخرى ، وكأنها تنتظر شخصًا ما ، أو شيئًا ما ، فى اهتمام بالغ ..

ولكن عينيها كانتا شاردتين تمامًا فى الواقع .

وكانت أفكارها تسبح بعيدًا ..

بعيدًا للغاية .

كانت تسترجع ذكريات صراعها الأخير مع (أدهم صبرى) ..

ذلك الصراع ، الذى انتهى بفشل مشروعها النووى ، قبل ساعات قليلة من اكتماله ..

لقد خسرت جولة أخرى أمامه ..

جولة نجحت فى إنقاذ الجزء الأخير منها ، عندما

فرَّت من وكرها ، مستخدمة مشروع (السوبرمان) ، ودفعت أخلص رجالهـا إلى تهريب العلمـاء الأربعـة ، حتى لا يستعيدهم (أدهم) ..

هذا وحده منع انهيارها ، بعد فشل المشروع ..

وها هى ذى تعيد بناء مشروعها مرة أخرى ...

وسط غابات (سيبيريا) ..

وظلامها ..

وثلوجها ..

تعيد بناءه ، فى أقسى ظروف ممكنة ..

وبأقصى قدر من الحرص ..

والحذر ..

والتوتر ..

وهى غير مستعدة ، فى هذه المرة ، للفشل .

أيًا كان الثمن ..

أيًا كان ..

قبل أن تواصل الغوص فى ذكرياتها وأفكارها ، لاح لها من بعيد جسم متحرِّك ، يتجه نحو المفـاعل ، وسط الثلوج المنهمرة ..

وفى اهتمـام شديـد ، ألقـت سيجـارتهـا أرضًـا ،

وسحقتها بقدمها ، وهى تتطلَّع إلى بدايـة الطريـق الممهَّد ، محاولة استيضاح هيئة ذلك الجسم ..

ومع اقترابه ، ظهرت ملامح الجسم المتحرِّك فى وضوح ..

كان سيَّارة ..

سيَّارة الجنـرال (ميلوسكى) العسكرية ، التى انطلقت تحت الثلوج المنهمرة ، حتى عبرت بوَّابـة المفـاعل النـووى ، وواصلت طريقها ، حتى توقَّفـت عنـد بـاب مكتبهـا مباشـرة ، وغادرهـا الجنـرال (ميلوسكى) ، الذى اندفع نحو الباب ، يتبعه جنديان ، يحملان صندوقًا كبيرًا ، بدا من الواضح ، من انحناء ظهريهما أنه ثقيل إلى حد ما ..

وفى لهفة ، استقبلت السنيورا الجنرال والجنديين ، هاتفة :

ـ هل أحضرتموه ؟!

انتزع الجنرال قفازيه ، وفرك كفيه فى شدة ، وهو يقف أمام المدفأة ، قائلا :

ـ بالطبع يا سنيورا .. بلادنا أصبحـت أفضـل مكـان فى العالم ، يمكنك الحصول منه على هذا الشىء .

تألقت عيناها ، وهى تقول فى حماس :

ـ عظيم .. يبدو أن كل شىء سيسير على ما يرام .

ابتسم الجنرال فى ثقة ، وأشار إلى الجنديين بترك الصندوق ، والانتظار فى الخارج ، وهو يقول :

ـ هذا أمر طبيعى يا سنيورا ، مادمت أنا المسئول عن كل هذا .

مررت سبابتها على بشرته الباردة فى رفق ونعومة ، وهى تقول :

ـ لهذا أشعر بالأمان فى وجودك يا جنرالى .

تدفقت الدماء الحارة فى عروقه ، وهو يهتف :

ـ أنا رهن إشارتك يا جميلتى .

ابتسمت فى ثقة ظافرة ، وابتعدت عنه بخطوات بطيئة متدللة ، وهى تشعل سيجارتها ، وتشير إلى الصندوق ، قائلة :

ـ من أين أحضرت هذا اليورانيوم ؟!

ابتسم ، قائلا :

ـ لست أميل إلى كشف مصادرى .

رفعت أحد حاجبيها ، قائلة :

ـ حقًا ؟!

ثم تجاهلت الأمر تمامًا ، وهى تسأله :

ـ وماذا عن الماء الثقيل ؟!

أجابها فى شىء من الزهو :

ـ إنه فى طريقه إلى هنا .

رفعت حاجبيها فى دهشة حقيقية ، وقالت :

ـ يبدو أنه كان ينبغى أن أبدأ مشروعى هنا منذ البداية .

وافقها بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ هذا صحيح .

نفثت دخان سيجارتها فى قوة ، وهى تقول فى انفعال :

ـ عظيم .. عظيم ..

وعادت عيناها تتألقان ، وهى تتابع :

ـ مع مطلع شمس الغد إذن ، سيبدأ مشروعى النووى الجديد .. المشروع الذى لن أسمح بفشله هذه المرة ..

وارتجف صوتها ، من فرط الصرامة والانفعال ، مع استطرادتها الحازمة :

ـ مهما كان الثمن .

* * *

لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ، طوال طريق العودة ، وهو ينطلق بالطائرة ، فوق المحيط الهادى ، و (منى) تتطلع إليه فى قلق ، دون أن تجرؤ على قطع سيل أفكاره ، حتى لاحت أضواء (لوس انجلوس) ، على الساحل الغربى ، فتنحنحت ، قائلة :

- الأمر لم يتفق مع توقعاتك .. أليس كذلك ؟!

لم يجب سؤالها مباشرة ، وهو ينخفض بالطائرة ، ليهبط فى مطار خاص ، بالقرب من الساحل ، ثم لم يلبث أن قال فى حزم :

- كل شىء هناك يثير الشكوك يا (منى) ، ويمنعنا من الجزم بأى شىء ، فحتى لو كان هناك نفق للهروب ، فقد انتهى أمره ، وضاعت معالمه ، مع التجديدات والتحسينات فى المكان ، خاصة وأن (سام أوكونور) هو صاحب المشروع ، وأحد الممولين الأربعة الكبار ، لمشروعات السنيورا الشيطانية .. أما ذلك التقرير ، فهو يشعل شكوكى أكثر وأكثر ، ويقفز بها إلى الذروة .. لقد طالعت النسخة الأصلية بنفسى أكثر من مائة مرة ، ولم يرد بها أى ذكر للـ .. للأشلاء .

نطق الكلمة الأخيرة فى صعوبة واضحة ، قبل أن يعضّ شفتيه ، ويرفع مقدّمة الطائرة ، ثم يضغط زر الاتصال اللاسلكى ، قائلاً :

- هنا الطائرة (يو - ١٣) .. نطلب الإذن بالهبوط .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن ينبعث من جهاز الاتصال صوت خشن ، يقول :

- لقد وصلت قبل موعدك يا (يو - ١٣) .. كنا ننتظرك فى منتصف الليل ، ولكن لا بأس .. قم بدورة كاملة حول المطار ، ثم اهبط فى الممر رقم سبعة .

انتظرت (منى) ، حتى انتهت تعليمات الهبوط ، ثم قالت :

- ربما أضيفت هذه الفقرة إلى التقرير بالفعل ، بعد العثور على الـ ... أعنى بعد رفع الحطام والأنقاض .

هزّ رأسه نفيًا ، وهو يقول فى حزم :

- مستحيل ! فى مثل هذه الأحوال يصدر تقرير جديد ، ولا يتم تعديل التقرير السابق قط ، مهما كانت الأسباب(*) .

(*) حقيقة ، وهذا ما يحدث فى كل دول العالم ، فى أية تعاملات أو تقارير رسمية .

سألته فى دهشة :

- من أين حصل (بيشوب) هذا على تلك النسخة إذن ؟!

أجابها فى حزم صارم ، وهو يهبط بالطائرة ، فى الممر رقم سبعة :

- إنها نسخة مزيَّفة .

قالت بسرعة :

- ولكنهم سيعرضونها على زوار القلعة ، ولا يمكنهم أن يكونوا بهذه الصفاقة .

انعقد حاجباه ، وهو يقول :

- هذا يعنى أن التقرير الأصلى نفسه تم تزويره .

هتفت مستنكرة :

- هذا ليس بالأمر السهل يا (أدهم) .

أجابها فى حزم :

- ليس بالأمر المستحيل أيضًا .. النقود يمكنها أن تفعل كل شىء هنا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

- وهذا يعنى أنه من الضرورى أن نفحص النسخة الأصلية للتقرير .

وأدار عينيه إليها ، مستطردًا فى صرامة :

- ويعنى أمرًا أكثر أهمية وخطورة .

خفق قلبها ، دون أن تسأله عما يعنيه ، فتابع فى صرامة أكثر :

- أن أحدهم يبذل قصارى جهده ؛ لإثبات مصرع (سونيا) وابنى ، والسؤال الآن هو لماذا ؟! لماذا يبذل شخص ما كل الجهد ، ليثبت أمرًا كهذا ، ما لم ..

ولم يتمّ عبارته ..

ولكن (منى) فهمت ما يعنيه ..

وخفق قلبها ..

وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

تحركت ريشة (قدرى) فى براعة مدهشة ، فوق قطعة الورق المقوّى الكبيرة أمامه ، ليضع اللمسات الأخيرة لرسم شديد الإتقان ، لحجرة مكتب (أوكونور) من كل زواياها ، ثم لم يلبث أن رفعها لتواجه (فائق) ، وهو يسأله فى قلق :

- ما رأيك ؟!

فغر (فائق) فاه فى انبهار ، وهو يهتف :

- إنها رائعة يا (قدرى) .. وكأننى أشاهد مجموعة

من الصور الضوئية المتقنة للحجرة .. يا إلهى ! إنك فنان قدير للغاية .

استعاد (قدرى) اللوحة ، فى ثقة وارتياح ، وهو يقول :

ـ ألم تكن تعلم هذا ؟!

أجابه فى حماس :

ـ كلنا نعلم أنك عبقرى ، فى التزييف والتزوير ، أما بالنسبة للفن ..

قاطعه (قدرى) فى غضب :

ـ الفن ؟! ألا تعتبرون ما أفعله فى الإدارة فنًّا ؟!

ضحك (فائق) ، قائلاً :

ـ إنه كذلك بالتأكيد ، ولكنك تبهرنى الآن بموهبة مذهلة ، لم نكن نعلم عنها شيئًا .

تنهَّد (قدرى) ، قائلاً :

ـ (أدهم) يعلم ..

بدا لحظة ، وكأنه سيكتفى بهذا القول ، إلا أنه لم يلبث أن تابع فى اهتمام :

ـ ربما لهذا السبب بالذات ، أرادنا أن نذهب إلى (أوكونور) معًا ، فهو يعلم أننى أمتلك ذاكرة

فوتوجرافية ، تتيح لى إعادة رسم الحجرة ، بأدق التفاصيل ، عندما أعود إلى هنا ، فى نفس الوقت الذى سيمكنك فيه ، بحكم عملك وخبرتك ، أن تنتبه إلى وسائل الأمن هناك .

أجابه (فائق) ، ولم تزايله دهشته بعد :

ـ لقد فعلت ، ولاحظت مواضع آلات المراقبة ، وجهاز الإنذار ، الذى يحمى الباب ، وسأضيف كل هذا إلى رسمك الرائع ، فتصبح لدى العميد (أدهم) صورة كاملة للمكان .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ ولكننى ، لكى أفعل هذا ، أدرت عينىَّ فى المكان كله ، أما أنت ، فقد خُيِّل إلىَّ أنك لم تلق نظرة واحدة عليه ، وأنت تتحدَّث إلى (أوكونور) طوال الوقت .

ابتسم (قدرى) ، قائلاً :

ـ هذا يثبت أننى أكثر براعة منك .

ضحك (فائق) ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

اتسعت ابتسامة (قدرى) لحظة ، ثم لم تلبث أن تلاشت ، وحلَّت محلها نظرة متوترة ، وهو يقول :

- لقد تأخر (أدهم) و (منى) كثيرًا .. إنها الحادية عشرة والنصف مساء .

اعتدل (فائق) ، وقال :

- لا داعى للقلق ، فهذا أمر طبيعى ، انهما سيقطعان الولايات المتحدة الأمريكية كلها ، من ساحلها الشرقى إلى الغربى ، وهذا يحتاج إلى ست ساعات فى المتوسط ، وبعدها سيستقلان تلك الطائرة الخاصة إلى جزيرة (هيل) ، فى المحيط الهادى ، وهذا يحتاج إلى ساعتين أخريين تقريبًا ، مما يعنى أن رحلة الذهاب والعودة تحتاج إلى ست عشرة ساعة على الأقل ، وهذا لو أنهما استطاعا حجز مكانيهما فى أول طائرة ، تعود إلى هنا ، بعد وصولهما إلى (لوس انجلوس) ..

اتسعت عينا (قدرى) فى انزعاج ، وهو يهتف :

- رباه ! هذا يعنى أنهما لن يعودا قبل الصباح .

أومأ (فائق) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالضبط .

انعقد حاجبا (قدرى) فى توتر بالغ ، فسأله (فائق) :

- لماذا كل هذا القلق ؟! إنها ليست مهمة قتالية ..

إنها رحلة استكشافية [illegible] تسطع ، وتتألق ، وتتحول [illegible] ، حتى إننى أتصور طيار بارع للغاية .

تنهد (قدرى) ، قائلاً :

- أعلم هذا يا رجل .. أعلم هذا ، ولكن [illegible] أن (أدهم) و (منى) لن يعودا قبل ست أو [illegible] ساعات أخرى على الأقل .

سأله (فائق) فى حيرة :

- وماذا فى هذا ؟!

هز (قدرى) رأسه ، مجيبًا :

- إنها فترة طويلة للغاية .

وعاد يعقد حاجبيه ، ويتنهد فى توتر ، وهو يضيف :

- ولا أحد يدرى ، ما الذى يمكن حدوثه ، فى كل هذا الوقت ..

تطلع إليه (فائق) فى دهشة ، وهو يتساءل عن سر توتره الشديد !

ولكن (قدرى) كان على حق تمامًا فى قوله .

فلا أحد يدرى ، ما الذى يمكن حدوثه ، فى كل هذا الوقت .

لا أحد ..

* * *

ـ لقد تأخَّر (أدهم) و(منى) كثيرًا .. إنها الحادية عشرة والنصف مساء .
اعتدل (فائق) ، وقال :
ـ لا داعى للقلق ، فهذا أمر طبيعى ، انهما سيقطعان الولايات المتحدة الأمريكية كلها ، من ساحلها الشرقى إلى الغربى ، وهذا يحتاج إلى ست ساعات فى المتوسِّط ، وبعدها سيستقلان تلك الطائرة الخاصة إلى جزيرة (هيل) ، فى المحيط الهادى ، وهذا يحتاج إلى ساعتين أخريين تقريبًا ، مما يعنى أن رحلة الذهاب والعودة تحتاج إلى ست عشرة ساعة على الأقل ، وهذا لو أنهما استطاعا حجز مكانيهما فى أوّل طائرة ، تعود إلى هنا ، بعد وصولهما إلى (لوس انجلوس) ..
اتسعت عينا (قدرى) فى انزعاج ، وهو يهتف :
ـ رباه ! هذا يعنى أنهما لن يعودا قبل الصباح .
أومأ (فائق) برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ بالضبط .
انعقد حاجبا (قدرى) فى توتر بالغ ، فسأله (فائق) :
ـ لماذا كل هذا القلق ؟! إنها ليست مهمة قتالية ..

إنها رحلة استكشافية فحسب ، وسيادة العميد (أدهم) طيَّار بارع للغاية .
تنهَّد (قدرى) ، قائلاً :
ـ أعلم هذا يا رجل .. أعلم هذا ، ولكن قولك يعنى أن (أدهم) و (منى) لن يعودا قبل ست أو سبع ساعات أخرى على الأقل .
سأله (فائق) فى حيرة :
ـ وماذا فى هذا ؟!
هزَّ (قدرى) رأسه ، مجيبًا :
ـ إنها فترة طويلة للغاية .
وعاد يعقد حاجبيه ، ويتنهَّد فى توتر ، وهو يضيف :
ـ ولا أحد يدرى ، ما الذى يمكن حدوثه ، فى كل هذا الوقت ..
تطلَّع إليه (فائق) فى دهشة ، وهو يتساءل عن سر توتره الشديد !
ولكن (قدرى) كان على حق تمامًا فى قوله .
فلا أحد يدرى ، ما الذى يمكن حدوثه ، فى كل هذا الوقت .
لا أحد ..

★ ★ ★

ارتفع المصعد الأحمر الخاص في سرعة ، وهو يحمل (بيركنز) بشعره الأحمر ، من قاعة الاستقبال ، في مبنى (سيتاديل) ، وحتى القمة ..

وعلى الرغم من السرعة الفائقة ، كان (بيركينز) يتحرك في عصبية ، وكأنه لا يحتمل الانتظار ، حتى يبلغ حجرة (أوكونور) .

وبالفعل ، لم يكد يبلغها ، حتى اندفع من المصعد إليها ، وهو يهتف في حماس :

- سيدي .. لن يمكنك أن تصدق ما أحمله لك .

كان (أوكونور) يقف - كعادته - أمام الواجهة الزجاجية لحجرته ، والتي تطل على مشهد كامل للمدينة ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ..

وفي هدوء شديد ، تجاهل عبارة (بيركينز) الحماسية ، وقال :

- هل تعلم أن (نيويورك) تبدو رائعة في الليل ؟!

صدمه سؤال (بيركينز) ، وبخر حماسه كله دفعة واحدة ، وهو يغمغم :

- في الليل ؟!

أجابه (أوكونور) ، وكأن لاشيء يشغله ، في الكون كله ، سوى تلك المدينة :

- نعم .. الأضواء تسطع ، وتتألق ، وتتحول المدينة كلها إلى شعلة من النور ، حتى إنني أتصور أنهم يستطيعون رؤيتها من القمر .

مط (بيركينز) شفتيه ، مغمغمًا :

- حقًا ؟!

استدار إليه (أوكونور) ، وهو يقول في صرامة مباغتة :

- حقًا يا (بيركينز) ..

ثم اتجه نحو مكتبه ، في خطوات بطيئة متئدة ، واسترخى على مقعده في هدوء ، قبل أن يسأله :

- ماذا لديك ؟!

هز (بيركينز) كتفيه ، وقال في صوت يخلو من الحماس :

- لقد تحريت عن ذلك المليونير المصري .. أحد أصدقائي في (القاهرة) أكد لي أن شركة (سوريال) للمعدات الثقيلة موجودة بالفعل ، في شارع (الجمهورية) هناك ، ولها تاريخ طويل في بيع وتأجير معدات البناء والحفر .

مال حاجبا (أوكونور) ، وهو يعتدل في مجلسه ، قائلاً :

- أهى معلومات مؤكدة ؟!

أومأ (بيركينز) برأسه إيجابًا ، ثم أخرج صورة من جيبه ، وقدمها له ، قائلاً فى لهجة ذات مغزى خاص :

- وهذه صورة مستر (موريس سوريال) .. صاحب ومدير الشركة .

انعقد حاجبا (أوكونور) فى شدة ، وهو يحدق فى الصورة ..

كانت صورة لرجل نحيل ، أشيب الشعر ، له شارب كث ، وأنف طويل ، وتختفى عيناه خلف منظار طبى سميك ..

وبصراحة مخيفة ، قال (أوكونور) :

- إذن ، فقد كنت على حق .

لوَّح (بيركينز) بيده ، قائلاً :

- أنت دائمًا على حق يا سيِّدى .

ثم مال نحوه ، وسأله فى حماس وانفعال :

- والآن ماذا نفعل ؟! هل نتخلَّص منهم ؟!

تطلَّع إليه (أوكونور) فى صمت ، قبل أن يقول :

- هل تعرف ما مشكلتك يا (بيركينز) ؟!

تراجع الشاب فى دهشة مكررًا :

- مشكلتى ؟!

أجابه (أوكونور) ، وهو يشبك أصابع كفيه أمامه :

- إنك من ذوى الشعر الأحمر ، وهؤلاء يتميزون بسرعة الانفعال ، والتوتر ، وبعدم التأنى فى مواجهة الأمور .

انعقد حاجبا (بيركينز) فى ضيق ، فابتسم (أوكونور) ، قائلاً :

- ولكنك مخلص لى ، ولقلعتى المنيعة ، وهذا ما يدفعنى للاحتفاظ بك ، على الرغم من الجهد الذى أبذله ؛ لتوجيه حماسك إلى الوجهة التى أريدها .

تنهَّد الشاب ، مغمغمًا .

- أنا رهن إشارتك يا سيِّدى .

غمغم (أوكونور) بدوره :

- عظيم .

ثم اعتدل ، مستطردًا فى لهجة حازمة آمرة ، مباغتة :

- أريد منكم أن تراقبوا هؤلاء القوم طوال الوقت .. أحصوا أنفاسهم .. سجِّلوا كل حرف ينطقون به ..

لا تجعلوهم يخطون خطوة واحدة ، دون أن يتبعهم أحدنا .. ازرعوا أجهزة تتبع فى سياراتهم ، وفى أحذيتهم لو اقتضى الأمر .. المهم أن تعرف من هم ، ولماذا سعوا إلينا ؟! ما هدفهم بالضبط ، وما بغيتهم ؟! أريد أجوبة لكل هذه الأسئلة ، وبأقصى سرعة ممكنة .

سأله (بيركينز) فى اهتمام :

ـ وماذا لو انتبهوا إلى ما نفعله ؟

قلب (أوكونور) كفيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ سيعنى هذا أنكم قد فشلتم ، أو أنهم أكثر براعة مما كنا نتصورّ ..

سأله (بيركينز) :

ـ وماذا نفعل فى هذه الحالة ؟!

تطلع إليه (أوكونور) لحظة فى صمت ، ثم رفع يده إلى رأسه ، وفرد إبهامه وسبابته ، على هيئة مسدس ، قائلاً :

ـ أنت تعلم ما ينبغى فعله ، فى هذه الحالة .

تألقت عينا (بيركينز) ، وهو يعتدل ، قائلاً :

ـ بالضبط يا مستر (أوكونور) .. بالضبط .

قالها ، واستدار يغادر الحجرة ، وفى عروقه تسرى دماء من نوع خاص ..

دماء قاتل ..

محترف ..

★ ★ ★

مطّ (محمود) شفتيه ، وتنهّد فى حرارة ، وهو يضم ساعديه إلى صدره ، ويرخى قبعة السائق على وجهه ، راقدًا فى أرضية السيارة الخلفية ، وغمغم فى سخط :

ـ لماذا أخذت دور السائق هذه المرة ؟! (فائق) ينعم بالدفء ، فى تلك الشقة الفاخرة فى أعلى ، وأنا مضطر لقضاء ليلة باردة كهذه داخل السيارة فى مرآب (بلازا) .

كان مضطرًا للعب دور السائق طوال الوقت ، خشية أن يراقبهم رجال (أوكونور) بأية وسيلة ، لذا فقد ضمّ ركبتيه إلى صدره ، وحاول أن يستغرق فى النوم ، على الرغم من صعوبة الموقف ، وصغر المكان ، وبرودة الطقس ، و ...

وفجأة ، استيقظت حواسه كلها .

كان هناك وقع أقدام تقترب ..

صحيح أنه يوجه حارس أمن للمرآب ، ولكن وقع



فهناك .. خارج السيارة ، كان هناك رجلان ، أحدهما يراقب الطريق ، تحسبًا لقدوم حارس المرآب ..

الأقدام هذا كان يوحى بأن صاحبه يقترب فى حرص حذر ، وكأنما لا يرغب فى أن يشعر بوجوده أحد ...

وانتبهت كل حواس (محمود) ، وهو يزيح القبعة عن وجهه ، ويرفع رأسه فى حذر ..

وتوقف وقع الأقدام ، عند سيارته بالتحديد ..

ثم تناهى إلى مسامعه صوت عبث بجسم السيارة ..

وهنا لم يستطع (محمود) السكون ..

لقد اعتدل جالسًا ، وتطلع عبر زجاج السيارة إلى الخارج ..

وتدفقت الدماء الحارة فى عروقه ..

فهناك .. خارج السيارة ، كان هناك رجلان ، أحدهما يراقب الطريق ، تحسبًا لقدوم حارس المرآب ، فى حين انهمك الآخر فى زرع جهاز تتبع وتنصت ، فى جسم السيارة ..

وبقوة ، وعلى نحو مباغت ، دفع (محمود) باب السيارة ، وقفز خارجها ، هاتفًا :

ـ أنتما .. ماذا تفعلان ؟!

كان ظهوره مباغتًا بحق ، حتى إن الرجل الأول انتفض فى عنف ، فى حين تراجع الثانى بحركة حادة

عنيفة ، وسقط جهاز التتبُّع والتنصُّت من يده ، وارتطم بالأرض ، بصوت رنين معدنى حاد ..

ولكن الرجلين استعادا سيطرتهما على نفسيهما بسرعة مذهلة ، فانتزع الأوَّل مسدسه من حزامه ، فى حين انقضَّ الثانى على (محمود) ، وهو يطلق زمجرة مكتومة .

وانحنى (محمود) فى سرعة ، متفاديًا انقضاضة الرجل الأوَّل ، ولكمه فى معدته لكمة كالقنبلة ، وهو يثب بقدمه ، ليركل المسدس من يد الثانى ..

ولكن فجأة ، ظهر ثلاثة رجال آخرون ، ينقضّون عليه من كل اتجاه ، فاستدار إليهم بأقصى سرعة ، وانحنى يتفادى لكمة الأوَّل ، ثم دفع قدمه فى معدة الثانى ، قبل أن يعتدل بحركة حادة ، محطمًا فك الثالث بلكمة ساحقة ، و ..

وفجأة ، شعر بعمود من النار يخترق كليته ، وينفذ من معدته ، فجحظت عيناه من فرط الألم ، واستدار يواجه ذلك الذى أطلق عليه النار ، فوقع بصره على (بيركينز) ، الذى وقف هادئًا ، يضع يده اليسرى فى جيب معطفه ، ويمسك مسدسه ، المزوَّد بكاتم

للصوت بيمناه ، وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ لم نكن نرغب فى أن تتطوَّر الأمور إلى هذا الحد .

عضَّ (محمود) شفتيه ، وهو يهتف :

ـ أيها الوغد .

انقضَّ عليه ثلاثة رجال من الخلف ، وراحوا يمطرونه بالركلات واللكمات ، على الرغم من إصابته ، فى حين غمغم (بيركينز) فى سخرية :

ـ ومن قال لك إن هذا يضايقنى ؟! إننى وغد بالفعل .

نطق عبارته ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، عندما لاحظ أن (محمود) يقاتل كالليث ، على الرغم من إصابته الفادحة ، والدماء التى تنزف منه فى غزارة ، فغمغم :

ـ أى قوم هؤلاء ؟! ألا يستسلمون أبدًا ؟!

ثم تقدَّم نحو (محمود) ، الذى كبَّل الرجال حركته بكل قوتهم ، وألصق مسدسه برأسه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ ولكننى أعرف وسيلة مضمونة لإنهاء القتال .

كان (محمود) عاجزًا من الحركة تقريبًا ، والدماء تغمر سترته وسرواله فى غزارة ، ووجهه شديد الشحوب ، وعلى الرغم من هذا ، فقد استدار يرمق (بيركينز) بنظرة نارية ، انتفضت لها عروق هذا الأخير ، وارتجفت لها يده الممسكة بالمسدس ، وكأن هذا المسدس مصوَّب إلى رأسه هو ، لا إلى رأس رجل المخابرات المصرى ..

ثم انتفض جسده كله فى عنف ، وكأنما يحاول التخلص من ذلك الخوف ، الذى سرى فى جسده ، وهتف فى عصبية :

ـ اذهب إلى الجحيم .

ومع هتافه ، ضغط زناد المسدس ..

وانطلقت الرصاصة ..

★ ★ ★

هبَّ (فائق) من رقاده بغتة ، دون سبب واضح ، واعتدل جالسًا على طرف فراشه الصغير ، وهو يلتقط مسدسه بحركة سريعة ، هاتفًا بصوت خافت :

ـ (قدرى) .. أأنت بخير ؟!

التفت إليه (قدرى) فى هدوء ، وهو يقف عند النافذة ، وقال :

ـ بالتأكيد .. لماذا استيقظت الآن ؟! إنها الثانية والنصف صباحًا تقريبًا !

تطلَّع إليه (فائق) لحظة ، وكأنما لا يجد ما يقوله ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ لست أدرى .. ربما هو كابوس ما .

ثم عاد يرفع عينيه إليه ، متسائلاً .

ـ ألم تنم بعد ؟!

هزَّ (قدرى) رأسه نفيًا ، وأجاب :

ـ كلاَّ .. مازلت أشعر بالقلق ، على (أدهم) و(منى) .

حاول (فائق) أن يقول شيئًا ، ولكن ذهنه كان خاويًا فى تلك اللحظة ، فتمتم :

ـ اطمئن .

ثم نهض من مكانه ، وأعاد مسدسه إلى حزامه ، وهو يفرد ذراعيه عن آخرهما ، وسأله :

ـ هل ترغب فى تناول بعض الشاى ؟!

أومأ (قدرى) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هل تعلم أن هذه المدينة تبدو لى ، على الرغم من كل تلك الأضواء ، مخيفة للغاية ؟!

سأله (فائق) ، وهو يقترب من النافذة :

ـ لماذا ؟!

هزَّ (قدرى) كتفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى .. ناطحات السحاب تلك ، التى ترتفع فى كل مكان ، مع الأضواء الكثيرة ، تبدو وكأنها غابة من الصلب الوحشى .

ابتسم (فائق) ، وهو يتطلَّع إلى المدينة ، قائلاً :

ـ صورة عجيبة يا (قدرى) ، لا تصدر إلا عن فيلسوف فنان ، ينظر إلى الأمور بمنظار ع ....

بتر عبارته بغتة ، وهو يعقد حاجبيه ، ويحدِّق فى شىء ما أمامه ..

كان المبنى المقابل بعيد إلى حد ما ، والنافذة المواجهة لهما مظلمة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد لمح انعكاسًا للضوء ، على جسم مستدير صغير ..

وبحكم خبرته الطويلة ، تحرَّك (فائق) فى سرعة ، وهو يجذب (قدرى) ، هاتفًا :

ـ احترس ..

اتسعت عينا (قدرى) فى دهشة وهو يسقط معه أرضًا ، صائحًا :

ـ ماذا أصابك بالله عليك ؟!

لم تكن صيحته قد اكتملت ، عندما اخترقت النافذة رصاصة ، حطَّمت الزجاج ، وواصلت طريقها ، لتستقر فى الجدار أمامها مباشرة ..

وهتف (قدرى) فى ارتياع :

ـ ما هذا ؟!

أجابه (فائق) ، وهو ينتزع مسدسه مرة أخرى من حزامه :

ـ لقد كشفوا أمرنا .. إنه قاتل محترف .. لقد حاولوا اغتيالك .

شهق (قدرى) فى رعب ، وهو يهتف :

ـ اغ .. اغتيالى ؟!

جذبه (فائق) من يده ، قائلاً :

ـ هيا .. تحرَّك فى سرعة ، واخفض رأسك .. سنغادر الشقة بأقصى سرعة .

هتف (قدرى) مذعورًا :

ـ نغادرها ؟! الآن ؟!

أجابه (فائق) فى حزم :

ـ نعم .. الآن .. ماداموا قرَّروا التخلُّص منا ،

فسيهاجموننا هنا حتمًا ، بعد أن أفلتنا من قاتلهم المحترف .

صاح (قدرى) :

ـ ولكن لماذا ؟! لماذا ؟!

أجابه (فائق) :

ـ سنلقى كل الأسئلة فيما بعد .. المهم أن نخرج من هنا الآن .

كان يتجه نحو الحجرة المجاورة ، فسأله (قدرى) مذعورًا :

ـ إلى أين تذهب ؟!

أجابه متوترًا :

ـ أريد أن أطمئن إلى أن الرسم الذى صنعته ، مع التسجيل الكامل لمحادثتنا مع (أوكونور) ، فى مكان آمن .. لست أحب أن يعثر عليهما هؤلاء الأوغاد .

تطلّع (قدرى) إلى باب الشقة ، وهو يقول فى ذعر :

ـ أسرع إذن باللّه عليك .. أسرع .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت عدة رصاصات صامتة ، لتنتزع رتاج الباب بدوى مكتوم ، فصرخ (قدرى) :

ـ رباه ! إنهم هنا .

اندفع خمسة رجال من باب الشقة ، حاملين مسدساتهم ، ووثب (فائق) من الحجرة ، ليتصدّى لهم ، فتراجع (قدرى) فى حركة حادة مذعورة ، وارتطم رأسه بحافة الباب فى عنف ، فسقط أرضًا ، وهو يكرّر فى رعب هائل :

ـ إنهم هنا ..

رأى (فائق) يطلق النار على أحد الرجال ، ويدور حول نفسه ، ليطيح برجل آخر ، وفوهات مسدسات الثلاثة الآخرين ترتفع نحوه ، و ...

وأظلمت الدنيا أمام عينيه بغتة ..

أظلمت تمامًا .

★ ★ ★

٦ - دمـــاء الأبطـــال ..

انتصف النهار أو كاد فى (القـاهرة)(*) عندمـا دلف مدير المخابرات إلى قسم الكمبيوتر فـى الإدارة ، فنهض الجميع لاستقباله ، فى احترام لا يخلو مـن الدهشة ؛ إذ لم يكن من المـألوف أن يـأتى المديـر بنفسه ، لتفقُّد أمـر مـا ، مـا لـم يكـن هـذا الأمـر على درجة عالية من الأهمية ، حتى إن أحد الرجال قال فى دهشة ، لم يستطع إخفاءها :

- مرحبًا يا سيادة المدير ، تُرى أى ....

بتر عبارته قبل أن يكملها ، عندما بدت له متنافية مع قواعد الذوق واللياقة ، ومع طبيعة العمل فـى الجهاز ..

وتجاهل المدير الأمر ، وهو يسأل رجلاً آخر فى اهتمام :

(*) تبعًا لاختلاف خطوط الطول ، تسبق (القاهرة) (واشنطن) فى التوقيت بسبع ساعات تقريبًا .

- هل من معلومات جديدة ، حول السنيورا ؟!

هزَّ الرجل رأسه نفيًا فى أسف ، وهو يقول :

- ليس بعد يا سيِّدى .. إننا نبذل قصـارى جهدنـا ، ولكن من الواضـح أنهـا قد اتخـذت كـل الاحتياطـات الممكنة هذه المرة ؛ لتخفى وجهتها .

قال المدير فى صرامة :

- ولكـن إخفـاء أمر كهذا تمامًـا مستحيـل .. إنهـا تتحرك مع رجالها ، وأربعة من العلمـاء ، وليس من السهل حجب كل هذا عن العيون ، خاصة وأن عملية التمشيط ، التى أجرتها السلطات البوليفية ، تؤكِّد أنهـا قد غادرت بلادهم تمامًا .

أجابه الرجل :

- المشكـلة أنهـا تستخدم دائمًا طائـرات خاصـة ، ووسائل نقل سرية غير مشروعة ، وتعقُّـب مثل هذه الأشياء لا يتمّ بالبساطة نفسها ، التى يتمّ بهـا تعقُّب الوسائل الرسمية .

قال المدير فى سرعة :

- ولكنـه ليس مستحيـلاً .. إن لدينـا شبكة من الاتصال ، تخترق العالم السفلى أيضًا ، ويمكننا تحرِّى الأمر بينهم .

أومأ الرجل برأسه ، وقال :

ـ لقد فعلنا يا سيِّدى ، ولكننا لم نتلق أية معلومات إيجابية منهم بعد .

وانبرى رجل آخر ، يقول :

ـ معذرة يا سيِّدى ، ولكن هذه المعلومات بالذات سيصعب التوصل إليها جدًا .

التفت إليه المدير ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ولماذا هذه المعلومات بالذات ؟!

أجابه الرجل :

ـ لأنه هناك أربعة من عمالقة الاقتصاد العالميين يتعاونون مع السنيورا ، مما يعنى أنه يمكنها أن تتلقى دعمًا لا نهائيًا ، من الاتصالات ، والتمويل المادى ، والنفوذ ، والسلطة ، ووسائل المواصلات ، وكل الأمور الأخرى ، التى تساعدها على إخفاء خطواتها ، بمنتهى الحزم والدقة ، بحيث يصبح تعقُّبها فى حكم المستحيل .

التقى حاجبا المدير ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى ! إنك على حق يا رجل .

واستغرق فى التفكير بعض الوقت ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ ولكن هذا أيضًا يمكن التصدِّى له .

تطلَّع إليه الرجال كلهم فى تساؤل ، فتابع بنفس الحزم :

ـ ربما يحتاج منا هذا إلى المزيد والمزيد من الجهد ، ولكننا نستطيع أن نتحرَّى كل ما يتعلق بالأربعة الكبار .. علاقاتهم .. اتصالاتهم ، وبالتحديد اهتمام كل منهم بتوفير وسائل نقل خاصة ، خلال الأيام القليلة الماضية ، وسنتوقف بالتأكيد أمام كل ما يشير إلى (أمريكا الجنوبية) ، و ...

انطلقت فجأة شهقة من أحد الرجال ، قبل أن يهتف :

ـ يا إلهى !

التفت إليه الجميع فى حركة حادة ، وهتف به المدير :

ـ ماذا أصابك يا رجل ؟!

التقط الرجل ورقة خرجت من طابعة الليزر ، وهو يقول فى انفعال :

ـ إنها معلومات وصلت على الفور من (نيويورك) .. يا إلهى ! إنها كارثة يا سيِّدى المدير .. كارثة .

اختطف المدير الورقة من يده فى توتر ، والتهم كلماتها فى سرعة ، قبل أن يهتف بدوره :

ـ رباه !

وكان على حق فى انفعاله هذا ؛ فالأخبار الواردة من (نيويورك) كانت رهيبة ..

رهيبة للغاية ..

★ ★ ★

استغرقت (منى) فى نوم عميق ، داخل السيارة ، التى ينطلق بها (أدهم) ، فى شوارع (نيويورك) ، فى الخامسة والنصف صباحًا ، بعد الرحلة المرهقة ، التى قطعاها ، إلى ومن (لوس انجلوس) ، ثم إلى جزيرة (هيل) ، عبر أكثر من عشرين ساعة متصلة ..

أما (أدهم) ، فقد انشغل عقله فى التفكير فى ذلك الأمر ، الذى فجَّر عشرات التساؤلات فى ذهنه ، منذ عودتهما من حزيرة (هيل) ..

ما الذى يحدث هناك بالضبط ؟!

ولماذا يسعى (أوكونور) لشراء الجزيرة ؟!

تلك الجزيرة بالتحديد ؟!

ألهذا علاقة بتعامله مع السنيورا ؟!

أم أنه مجرَّد مشروع سياحى فحسب ؟!

رجل مثل (سام أوكونور) يمكن أن يقيم بالفعل

مشروعًا عملاقًا كهذا ، ضمن مشروعاته الاستثمارية الضخمة ..

ولكن ماذا عن علاقته بالسنيورا ؟!

وماذا لو أنها (سونيا جراهام) بالفعل ؟!

لو أن السنيورا هى (سونيا) ، فمن الطبيعى أن تبذل قصارى جهدها ، لإخفاء كل أثر لفرارها من جزيرة (هيل) ؛ حتى تظلَّ ، فى نظر القانون ، مجرَّد إرهابية لقيت مصرعها ، فى انفجار محدود ..

ولهذا تم تزوير التقرير الرسمى ..

أو ...

بتر أفكاره فجأة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتجه نحو مبنى (بلازا) ، عندما وقع بصره على سيارات الشرطة ، وسيارة الإسعاف ، والزحام أمام المبنى ..

وبكل انزعاجه وتوتره ، هتف :

ـ يا إلهى ! تُرى ماذا حدث ؟!

انتفضت (منى) مستيقظة ، وسألته :

ـ ماذا هناك ؟!

قال ، وهو يوقف السيارة :

ـ أخشى أن ...

لم يكمل عبارته ، وهو يثب من السيارة ، ويندفع نحو المبنى ، فاعتدلت (منى) ، وحدقت فى المشهد بدورها ، وخفق قلبها فى هلع ، وهى تغادر السيارة بدورها ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! (قدرى) ؟!

لحقت بـ (أدهم) عند مدخل المبنى ، وهو يسأل مفتش الشرطة ، الذى يتولى الأمر :

ـ ماذا حدث هنا ؟!

التفت إليه مفتش الشرطة فى عصبية ، وهو يقول :

ـ اسمع يا هذا .. إننا نواجه مذبحة رهيبة ، وليس لدينا الوقت ؛ لإجابة أسئلة الصحفيين ، و ...

بتر عبارته فجأة ، وهو يحدق فى وجه (أدهم) ، قائلاً :

ـ أين رأيتك من قبل ؟!

انعقد حاجبا (أدهم) ، دون أن يجيب ، وشعرت (منى) بالقلق ، و ...

« (تيم بارتون) .. »

هتف مفتش الشرطة بالاسم فى لهفة ، وعيناه

تتألقان سعادة ، ثم اندفع يصافح (أدهم) فى حرارة ، قائلاً :

ـ الآن تذكرت أين رأيتك .. على شاشة التلفاز أنت (تيم بارتون) ، بطل المخابرات ، الذى أنقذ السفير المصرى(*) .. كم يشرفنى أن ألتقى بك .. أنا المفتش (جيم هارلى) ، من قسم جرائم القتل .

نقلت (منى) بصرها بينهما فى دهشة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فى حين قال (أدهم) :

ـ تشرفنا أيها المفتش .. والآن أخبرنى ، ما الذى حدث هنا بالضبط ؟!

أجابه المفتش فى انفعال :

ـ إنها مذبحة رهيبة يا مستر (بارتون) .. بعضهم قتل حارس المرآب ، ونسف رأس أحد السائقين ، كما يوجد قتيلان آخران ، فى شقة الطابق العشرين .

شهقت (منى) ، هاتفة :

ـ يا إلهى ! (قدرى) .

أمسك (أدهم) يدها فى قوة ، فى محاولة للسيطرة على انفعالاتها ، وهو يسأل المفتش فى توتر :

(*) راجع قصة (الفخ) .. المغامرة رقم (١٠٨) .

ـ ومن فعل هذا ؟!

هزَّ المفتش رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ لست أدرى يا مستر (بارتون) .. لقد بدأنا تحرياتنا منذ نصف الساعة فحسب ، ونحن نستجوب الشهود الآن .

سأله (أدهم) :

ـ أهناك شهود للحادث ؟!

صمت المفتش لحظة فى تردُّد ، قبل أن يقول :

ـ هناك مستمعون لدوى الرصاصات ، منذ اقتحام تلك الشقة ، فى الطابق العشرين .

تبادل (أدهم) و (منى) نظرة شديدة التوتر ، قبل أن يقول الأوَّل للمفتش :

ـ هل يمكننا إلقاء نظرة على الشقة ؟!

أجابه المفتش فى حماس :

ـ بالتأكيد يا مستر (بارتون) .. بالتأكيد ..

كان كل شىء فى الشقة يشفّ عن الصراع العنيف ، الذى دار فيها .

الأثاث المقلوب ..

بقع الدم فى كل مكان ..

الفوضى الواضحة ..

الرصاصات التى اخترقت الجدران ..

العلامات على الأرض ، التى تحدد موضع القتيلين ..

وفى توتر ، هتفت (منى) :

ـ (أدهم) .. انظر إلى تلك العلامات .. رسم الأجسام لا يمكن أن يعنى (قدرى) .. إنها أجسام رشيقة إلى حد ما ..

غمغم (أدهم) :

ـ هذا صحيح .

ثم التفت إلى المفتش ، يسأله :

ـ أكان هناك شخص بدين ، بين القتلى ؟!

هزَّ المفتش رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاَّ ، ولكن ..

بتر عبارته فجأة ، فسألته (منى) فى لهفة متوترة :

ـ ولكن ماذا ؟!

أجابها فى سرعة :

ـ لدينا شاهد واحد ، يقول : إنه رأى ثلاثة رجال ، يحملون شخصًا بدينًا فاقد الوعى ، إلى سيارة كبيرة ،

انطلقت بهم بسرعة ، بعد دقائق قليلة من تبادل إطلاق النار .

خفق قلب (منى) فى عنف ، وهى تلتفت إلى (أدهم) ، الذى ضغط يدها فى قوة ، وهو يقول للمفتش :

ـ اسمعنى جيدًا أيها المفتش (هارلى) ، فما سأخبرك به يندرج تحت بند السرية المطلقة .

أومأ المفتش برأسه إيجابًا فى اهتمام ، فتابع (أدهم) فى صرامة :

ـ ذلك البدين ، الذى تم اختطافه ، يعمل لحسابنا .

هتف المفتش فى انبهار :

ـ حقًا ؟!

أشار (أدهم) بيده فى صرامة ، قائلاً :

ـ هذا الأمر بيننا فحسب ، فلا تذكره فى تقريرك الرسمى ، أو تخبر به أحدًا ..

هتف الرجل فى حماس :

ـ بالتأكيد يا مستر (بارتون) .. بالتأكيد .

قال (أدهم) :

ـ عظيم أيها المفتش (هارلى) .. ما ينبغى أن

تعرفه الآن ، هو أن رجلنا هذا كان ينبغى أن يترك شيئًا ما لنا هنا ، ونحن نرغب فى استعادة هذا الشىء ، نظرًا لسريته وخطورته ، قبل وصول رجال المعمل الجنائى .

بهت المفتش للقول ، وتراجع مغمغمًا :

ـ ولكن يا مستر (بارتون) .. أنت تعرف القواعد .

لوَّح (أدهم) بيده ، قائلاً فى حزم :

ـ سأوقِّع باستلامها بالطبع .. لابد أن تعفى نفسك من المسئولية .

بدا الارتياح على وجه المفتش ، وهو يقول :

ـ آه .. فى هذه الحالة ..

لم يتمّ عبارته ..

ولم يكن بحاجة لإتمامها ..

فقبل حتى أن يكمل قوله ، كان (أدهم) يتجه إلى حجرة النوم ، ويزيح دولابها قليلاً ، ثم يمد يده خلفه ، ويلتقط لوحة (قدرى) ، وشريط التسجيل ، الذى تركه (فائق) ..

وفى هدوء ، ودون أن يطرف له جفن ، وقَّع باستلام اللوحة والشريط ، والمفتش يسأله فى اهتمام ، عندما لاحظ أنه يوقِّع بيسراه :

ـ أنت أعسر يا مستر (بارتون) ؟!

أجابه (أدهم) فى هدوء :

ـ كل العباقرة كذلك أيها المفتش .

وانصرف فى هدوء مع (منى) ، التى غمغمت فى مرارة ، والدموع تنساب على وجهها :

ـ يا للمساكين ! (محمود) و(فائق) لقيا مصرعهما ، و(قدرى) تم اختطافه .. ولكن لماذا ؟! لماذا حدث هذا ؟!

دسّ (أدهم) الشريط ، فى جهاز البث فى السيارة ، وهو ينطلق بها ، قائلاً فى صرامة ، تحمل إحساسًا بغضب مكتوم :

ـ ربما نعلم لماذا حدث هذا ، عندما نستمع إلى شريط التسجيل ، الذى يحمل تفاصيل لقاء (أدهم) و(فائق) مع (سام أوكونور) ، ولكن الشىء الذى ليس لدى أدنى شك بشأنه ، هو أن هذا الوغد هو المسئول عن كل ما حدث .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ وسيدفع ثمن فعلته القذرة هذه .

قالها ، ولاذ مع (منى) بالصمت التام ، وهما



فقبل حتى أن يكمل قوله ، كان (أدهم) يتجه إلى حجرة النوم ، ويزيح دولابها قليلا ، ثم يمد يده خلفه ، ويلتقط لوحة (قدرى) ..

يستمعان إلى الشريط ، حتى هتف (أدهم) فجأة فى توتر :
ـ يا إلهى ! خطأ يا (قدرى) .. خطأ .
سألته (منى) فى حيرة :
ـ ماذا حدث ؟!
ضغط زرًا لاسترجاع تلك الفقرة ، وهو يقول :
ـ (أوكونور) اللعين أوقع بهما ، عندما تحدَّث عن المعدَّات الثقيلة ، التى تنتجها شركة (رولز رويس) .
سألته فى حذر :
ـ وماذا فى هذا ؟!
أجابها فى حنق :
ـ شركة (رولز رويس) لاتنتج أية معدات ثقيلة ، والمفترض أن يعرف كل العاملين فى هذا المضمار هذه الحقيقة ، ولكن (قدرى) لم ينتبه إلى هذا ، وكذلك (فائق) (رحمه الله) ، ولهذا كشف (أوكونور) أمرهما ، وأمر (محمود) بالتالى .
هتفت فى ارتياع :
ـ ولكن لماذا لجأ إلى قتلهما بهذه السرعة ؟!
انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة شديدة ، وهو يجيب فى غضب :

ـ لأنه وغد .
سألته بصوت مرتجف :
ـ ولماذا اختطف (قدرى) ؟!
أجابها فى صرامة :
ـ لأنه يحتاج إلى معرفة هو يتهم الحقيقية ، والسبب الذى دفعهم إلى مقابلته .
وبدا صوته أشبه بكتلة من الغضب والثورة ، وهو يضيف :
ـ وفى سبيل هذا ، لن يتردَّد وغد مثله فى استخدام أية وسيلة ، مهما بلغت قسوتها وحقارتها .
شهقت ، هاتفة :
ـ إلهى ! يا لصديقنا (قدرى) المسكين .. إنه لن يحتمل هذا قط ..
عضَّ (أدهم) شفتيه فى غضب ، ولم ينطق بحرف واحد ، حتى بلغ المنزل الآمن الاحتياطى ، فى أحد ضواحى (نيويورك) ، حيث استقبلهما مندوب المخابرات المصرية (وصفى) ، الذى هتف فى مرارة :
ـ سيادة العميد (أدهم) .. هل علمت ما حدث ؟!

أجابه (أدهم) فى حزم :

ـ نعم يا (وصفى) .. تأكد أن المسئول سيدفع الثمن غاليًا .

ثم التفت إلى (منى) ، مستطردًا بلهجة آمرة :

ـ جواز سفرك يحمل صفة صحفية .. استخدميه للحصول على صورة من تقرير وزارة الدفاع هنا ، حول عملية اقتحام جزيرة (هيل) .. القانون يسمح لك بالحصول على أية معلومات ، لا تدخل تحت بند السرية المطلقة .

سألته فى قلق :

ـ وماذا عنك ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

ـ سأذهب لزيارة (سام أوكونور) .

قالت معترضة :

ـ ولماذا لا أصحبك ؟!

أجابها فى حزم صارم :

ـ لأننى أحتاج إلى خط دفاع ثان ، لا يعلم (أوكونور) عنه شيئًا .

تنحنح (وصفى) ، قائلاً :

ـ معذرة يا سيادة العميد ، ولكن هناك أوامر جديدة من (القاهرة) .

التفت إليه (أدهم) بنظرة متسائلة ، فتابع ، فى شىء من التوتر :

ـ لقد ألغيت العملية .

ارتفع حاجبا (منى) ، فى دهشة مستنكرة ، فى حين غمغم (أدهم) فى غضب :

ـ ألغيت ؟! لماذا ؟!

لوّح (وصفى) بيده ، قائلاً :

ـ أنت تعلم أنهم لا يعلنون الأسباب قط .

ازداد انعقاد حاجبى (أدهم) ، وتضاعف الغضب فى ملامحه ، وهو يتطلّع إليه فى صمت بضع لحظات ، قبل أن يلتفت إلى (منى) ، قائلاً فى صرامة :

ـ مركز معلومات وزارة الدفاع يبدأ عمله فى السابعة والنصف .. أريدك هناك ، عندما يفتح أبوابه .

حملت إليه عيناها سؤالاً ، لم تفصح عنه شفتاها ، فتابع بنفس الصرامة :

ـ وفى نفس اللحظة تقريبًا ، سأكون عند مبنى (سيتاديل) ؛ لزيارة ذلك الوغد (أوكونور) .

ارتفع حاجبا (وصفى) فى دهشة شديدة ، وقال :

ـ ولكن يا سيادة العميد .

التفت إليه (أدهم) بحركة حادة ، قائلاً فى صرامة :

ـ إنها لم تعد مهمة رسمية يا (وصفى) .

وأطلت من عينيه وصوته لمحة مخيفة ، وهو يضيف :

ـ لقد أصبحت عملية شخصية .. تمامًا .

وارتجف قلب (منى) بين ضلوعها .

فهى تدرك ما تعنيه تلك اللهجة ، عندما تخرج من بين شفتى (أدهم) ..

تدركه جيدًا .

★ ★ ★

لم تكد عقارب الساعة تشير إلى السابعة صباحًا ، حتى كانت سيارة (سام أوكونور) تتوقف أمام مبناه (سيتاديل) كالمعتاد ، وأسرع سائقه يفتح باب السيارة ، وهو ينحنى انحناءة كبيرة ، حتى كاد رأسه يرتطم بالأرض ، فى حين اصطف رجال الحراسة ، وكل العاملين فى قاعة الاستقبال ، فى صفين متوازيين ، لاستقبال الرجل بالحفاوة اللازمة ، طبقًا لأوامره المشددة فى هذا الشأن .

كان يميل دائمًا إلى المراسم المبالغة ، التى تمنحه شعورًا بأنه ليس أكبر رجل أعمال فى (نيويورك) فحسب .

بل هو الملك ..

ملك (نيويورك) غير المتوج .

(نيويورك) ..

المدينة ، التى نشأ فيها وترعرع ، وصنع ثروته الضخمة ، التى شيدت قلعته المهيبة ، فى قلب العاصمة الاقتصادية الأولى فى العالم ..

فمنذ طفولته ، عندما كان موزعًا للصحف ، فى قلب (نيويورك) ، وهو يحلم بامتلاك تلك المدينة .

بأن يصبح على قمتها ..

وربما كان هذا هو الحافز الأول لعمله المستمر ، وللسنوات الطويلة ، التى احتمل فيها عشرات المتاعب والمصاعب ، قبل أن يكون عصابته الأولى ، وتجارته الأولى ، التى صنعت منه فى النهاية واحدًا فى عمالقة الاقتصاد العالميين ..

وفى فخامة وتعال ، عبر (أوكونور) بين صفى مرءوسيه ، ودلف إلى بنايته ، ثم اتجه إلى مصعده

الأحمر الخاص ، وحارسه يفتح بابه ، وينحنى انحناءة كبيرة أيضًا .

ولكن (أوكونور) عقد حاجبيه فى توتر ، عندما شاهد (بيركينز) يقف إلى جوار حارس المصعد ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة ، فسأله فى شىء من الخشونة .

ـ ماذا تفعل هنا ، فى هذا الوقت المبكر يا (بيركينز) ؟! ليس من عادتك أن تستيقظ فى هذا الموعد ..

هزَّ (بيركينز) شفتيه ، وقال :

ـ إننى لم أنم بعد .

لم يعلق (أوكونور) على العبارة ، حتى ضمهما المصعد ، فسأله فى صرامة :

ـ لقد تطورت الأمور أمس .. أليس كذلك ؟!

أومأ (بيركينز) برأسه إيجابًا ، فانعقد حاجبا (أوكونور) فى غضب ، جعل (بيركينز) يهتف فى سرعة :

ـ إنهم محترفون يا مستر (أوكونور) .. لقد قاتل السائق رجالنا فى شراسة ، وبمهارة لا يمكن أن

يكتسبها سائق عادى ، وذلك السكرتير أيضًا ، انقضَّ على رجالنا كالليث ، وقتل أحدهم ، وأصاب آخر إصابة شديدة ، قبل أن نتخلص منه .

قال (أوكونور) فى حدة :

ـ إذن فقد قتلت الثلاثة .

أشار (بيركينز) بسبابته ووسطاه ، قائلاً :

ـ اثنان فحسب يا مستر (أوكونور) .. المليونير المزيف لم يلق مصرعه بعد .. لقد اختطفناه فحسب .

كان المصعد قد بلغ بهما الطابق الأربعين بالفعل ، عندما هتف (أوكونور) فى غضب مستنكر .

ـ اختطفتموه ؟!

أجابه (بيركينز) ، وهو يتبعه إلى الحجرة :

ـ بالتأكيد يا مستر (أوكونور) .. لقد فكرت فى أنك قد تحتاج لاستجوابه ؛ لتعرف من هم ، ولماذا سعوا إليك .

التقى حاجبا (أوكونور) فى شدة بعض الوقت ، وهو يقطع حجرته الواسعة ، ثم يستقر خلف مكتبه ، قائلاً :

ـ حسنًا فعلت يا (بيركينز) .

بدا الارتياح على الشاب ، وهو يغمغم :

ـ كنت أعلم أن هذا سيرضيك يا مستر (أوكونور) .. كنت أعلم هذا .

كان (أوكونور) يهَم بقول شىء ما ، عندما ارتفع رنين هاتفه الخاص فجأة ، فالتفت إليه فى دهشة ، قبل أن يلتقطه فى حذر ، قائلاً :

ـ من المتحدث ؟!

انعقد حاجباه ، على نحو يشفّ عن توتره ، عندما سمع الصوت الصادر من الجانب الآخر ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا سيدتى .. كيف حالك ؟!

أتاه صوت (بيشوب) ، مدير مشروع (هيل) السياحى ، وهو يقول :

ـ صباح الخير يا مستر (أوكونور) .. معذرة للاتصال فى هذا الوقت المبكر ، ولكن شيئا ما حدث هنا أمس ، ورأيت أنه من الضرورى أن تعلم به .

سأله (أوكونور) بلهجة جافة :

ـ وما هذا ؟!

شرح له (بيشوب) كل ما حدث ، منذ اشتباك (أدهم) و (منى) مع طاقم الحراسة ، وحتى رحيلهما من الجزيرة ، ثم أضاف فى ارتباك :

ـ ولقد اتصلت السيدة فجر اليوم ، واشتعل غضبها فى شدة ، عندما علمت بالأمر ، وثارت لأننا لم نبلغها به فى حينه ، ثم طلبت منى الاتصال بك شخصياً ، وأن أخبرك أن الشخص الذى حذرتك منه ، قد بدأ ينبش الماضى بالفعل .

التقى حاجبا (أوكونور) فى شدة ، وهو يقول :

ـ لا بأس يا (بيشوب) .. لقد أديت واجبك .. اترك لى هذا الأمر الآن .

وأنهى الاتصال ، ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه نحو الواجهة الزجاجية للحجرة ، وتطلّع إلى المدينة بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ أحضر لى كل ما لدينا من معلومات ، حول رجل المخابرات المصرى يا (بيركينز) .

سأله الشاب فى قلق :

ـ رجل المخابرات المصرى ؟! هل تقصد ..

قاطعه (أوكونور) :

ـ (أدهم صبرى) يا (بيركينز) .. الرجل الذى نحتفظ بملف كامل عنه ، فى خزائننا السرية .

أجابه الشاب فى حماس :

- سمعًا وطاعة يا مستر (أوكونور) .

لم يفارق (أوكونور) مكانه ، حتى غادر (بيركينز) الحجرة لإحضار الملف ، وألقى نظرة طويلة على (نيويورك) ، قبل أن يغمغم :

- تمامًا كما توقّعت هى .. لقد عاد (أدهم صبرى) إلى الجزيرة .. عاد لينبش الماضى ، ويواجه شكوكه .. إنها بعيدة النظر بالفعل .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلق أزيز جهاز الاتصال الداخلى ، وارتفع منه صوت حارس المدخل ، وهو يقول :

- مستر (أوكونور) .. هنا شخص ليس لديه موعد سابق للمقابلة ، ولكنه يصرّ بشدة على الصعود إليك .

قال (أوكونور) ، دون أن يلتفت :

- أخبره أننى لا ألتقى بأى شخص كان ، دون موعد سابق .

صمت الجهاز بعض الوقت ، قبل أن ينبعث منه صوت حارس الأمن مرة أخرى ، وهو يقول فى توتر :

- مازال يصرّ على المقابلة يا مستر (أوكونور) ،

ويطلب منك إلقاء نظرة على شاشة المراقبة لرؤيته ، وأنه واثق من أنك ستوافق على مقابلته عندئذ .

عقد (أوكونور) حاجبيه فى شدة ، وهو يستدير ليلقى نظرة على شاشة المراقبة ، و ...

وانتفض جسده فى غضب ، وهو يحدّق فى الوجه ، الذى يطلّ عليه منها .

فقد كان ذلك الشخص ، الذى يصرّ على مقابلته ، والذى ينظر إلى آلة المراقبة مباشرة ، وكأنه يعرف موضعها السرى بالضبط ، وهو (أدهم) ..

(أدهم صبرى) شخصيًا .

* * *



٧ - الشيطـــــان ..

تطلع الجندى المسئول عن البيانات العسكرية طويلاً ، إلى (منى) ، قبل أن يقول فى برود عجيب :

- إذن فأنت ترغبين فى الاطلاع على التقرير الرسمى ، الخاص باقتحام جزيرة (هيل) .. لست أدرى فى الواقع ما إذا كان ...

قاطعته فى حزم :

- إنه لا يندرج تحت بند السرية المطلقة .. لقد راجعت البيانات بنفسى على الكمبيوتر .

رمقها بنظرة لم ترق لها ، وهو يقول :

- هكذا .

ثم ضرب أزرار الكمبيوتر أمامه بضع لحظات ، قبل أن ينهض إلى دولاب كبير ، ويقلب أوراقه بعض الوقت ، ثم يلتقط منها ورقتين ، قدمهما لها ، قائلاً :

- ها هوذا .. لو أنك ترغبين فى الحصول على نسخة منه ، فعليك تسديد مبلغ عشرة دولارات ، فى خزانة الطابق الأول .

غمغمت (منى) ، وهى تطالع التقرير فى شغف :

- إننى أرغب فى ذلك بالتأكيد .

ثم توقفت عيناها عند تلك الفقرة ، الخاصة بالعثور على أشلاء امرأة وطفل ، والتفتت إلى الجندى ، قائلة :

- كنت أريد نسخة من التقرير الأول .

أشار الرجل إلى الورقتين فى يدها ، مجيبًا :

- لا يوجد تقرير أول وتقرير أخير .. هذا هو التقرير الوحيد ، الخاص بعملية الاقتحام .

قالت فى توتر :

- مستحيل ! هناك تقرير آخر بالتأكيد .

هز رأسه نفيًا فى حزم ، قائلاً :

- إنه تقرير واحد .. لقد كانت عملية سريعة مباشرة ، ولم يصدر عنها سوى هذا التقرير المحدود ، بخلاف التقارير السرية بالطبع ، وتلك لا يمكنك الاطلاع عليها ، قبل مرور ربع قرن(*) .

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تطالع التقرير مرة أخرى ، متسائلة :

(*) القانون فى الولايات المتحدة الأمريكية ، يتيح الاطلاع على الوثائق السرية ، بعد فترات تتراوح ما بين ٢٥ إلى ٥٠ عامًا ، طبقًا لمدى السرية والخطورة للوثائق .

ـ أأنت واثق من هذا ؟
مطَّ شفتيه فى ضجر ، قائلاً :
ـ سيِّدتى .. إنه عملى .
راجعت (منى) التقرير مرة أخرى ، ثم سألته فى حزم :
ـ أين أدفع رسوم الحصول على النسخة ؟!
أشار بيده فى لا مبالاة ، قائلاً :
ـ فى الطابق الأوَّل .
أعادت التقرير إليه ، وهى تقول :
ـ قم بتصويره إذن ، فسأعود إليك على الفور .
راقبها الجندى فى اهتمام ، وهى تغادر المكان ، ثم تحرَّك فى سرعة ، فنهض إلى دولاب صغير فى الركن ، أخرج منه ملفًا أحمر اللون ، وفتحه فى حرص ، وهو يتطلَّع إلى ثلاث صور ضوئية داخله ..
والعجيب أن الصور الثلاث كانت لـ (أدهم) ، و(منى) ، و (جيهان) !!
وفى سرعة ، أعاد الملف إلى موضعه ، وضغط أزرار الهاتف ، ولم يكد يسمع صوت محدِّثه ، حتى همس فى توتر :

ـ أنا (دول) .. أتحدَّث من العمل لقد أتت الفتاة تطلب نسخة من التقرير .. لا .. ليست الفتاة الأولى ، بل الثانية .. نعم .. أنا واثق من هذا .. لقد راجعت صورتها بنفسى .
وصمت ليستمع فى اهتمام شديد إلى محدِّثه ، قبل أن يقول :
ـ إنها تدفع الرسوم الآن ، ويمكننى تعطيلها لبعض .. نعم .. سأدَّعى أن آلة التصوير معطَّلة .. يمكننى استبقاؤها لربع الساعة تقريبًا .. لا .. لست أعتقد أننى أستطيع تعطيلها لأكثر من هذا .. أخشى أن يأتى أحد الضباط لتفقُّد العمل ، ولن يمكننى عندئذ إدعاء وجود عطل بآلة التصوير .. نعم .. نعم .. ربع الساعة فحسب .
لم يكد يعيد السَّماعة إلى موضعها ، حتى وجد (منى) أمامه ، تمد يدها إليه بإيصال السداد ، قائلة فى اهتمام :
ـ هل انتهيت من تصوير التقرير ؟!
أشار إليها بالجلوس ، قائلاً :
ـ هناك عطل طارئ فى آلة التصوير ، وسيتم إصلاحه على الفور ..

مضت الدقائق بالنسبة إليها كالساعات ، وهى تجلس فى انتظار ذلك الإصلاح المزعوم ، وانطلق عقلها يسبح مع (أدهم) ، وهى تتساءل : ترى ماذا يفعل الآن ؟!

هل التقى بـ (سام أوكونور) ؟!

أم ..

إنها واثقة من أن الرجل سيتعرفه على الفور ..

ما دام يعمل مع السنيورا ، فسيحفظ صورته عن ظهر قلب بالتأكيد ..

فماذا سيفعل إذن ، عندما يجده أمامه ؟!

هل سيسمح له بالصعود إليه ؟!

هل سيوافق على أن يلتقى به وجهًا لوجه ؟!

هل؟!

هل ؟!

هل ؟!

« ها هى ذى نسخة التقرير يا سيدتى .. » .

انتزعها صوت الجندى من تساؤلاتها ، فنهضت تلتقط نسخة التقرير ، وأسرعت تغادر المكان ، وهى تدسها فى حقيبتها ، واستقلت سيارتها ، وانطلقت بها ، عائدة إلى المنزل الآمن ..

كان ذهنها منشغلاً بالتفكير فى (أدهم صبرى) ، وما يمكن أن يواجهه فى (سيتاديل) ، ولكن هذا لم يمنعها ـ كمحترفة ـ من ملاحظة تلك السيارة الزرقاء الكبيرة ، التى تتبعها طوال الوقت فى إصرار ..

وفى توتر ، انعقد حاجباها ، وهى تغمغم :

ـ ترى هل ..

لم تكمل تساؤلها ، ولكنها زادت من سرعة السيارة قليلاً ، وانحرفت بها إلى طريق جانبى ..

وتبعتها السيارة الزرقاء الكبيرة على الفور ، مؤكدة شكوكها ، فغمغمت فى توتر :

ـ إنها تتبعنى بالفعل .. ولكن لمن تنتمى ؟! لـ(سام أوكونور) ، أم لتلك الشيطانة ؟!

راح عقلها يدرس الأمر فى سرعة ، وهى تواصل الانطلاق ، عبر ذلك الشارع الجانبى الطويل ..

إنها تتجه بمسارها هذا إلى قلب المدينة ..

قلب (نيويورك) ، أكثر المدن ازدحامًا فى العالم ..

وهذا يعنى أنها لن تستطيع الإفلات من المطاردة أبدًا ..

السيارات فى ذلك المكان ، لا تكاد تتحرك ، فكيف يمكنها المناورة والمراوغة ..

كان الزحام يبدو لها واضحًا ، فى ذلك الشارع الرئيسى ، الذى يتعامد على الشارع الجانبى ، الذى كادت تبلغ نهايته ..

وكانت السيارة الزرقاء تتبعها فى إصرار ، و ..

وفجأة ، أوقفت سيارتها ، عند نهاية الشارع الجانبى ، وقفزت خارجها ، وانطلقت تعدو نحو الطريق الرئيسى المزدحم ..

وكانت مفاجأة مذهلة لراكبى السيارة الزرقاء ..

إنهم لم يتوقعوا قط إقدامها على تصرف مباغت كهذا ، لذا فقد تسمّروا فى مقاعدهم لحظة ، بلغت هى خلالها الشارع الرئيسى ، قبل أن يقفز ثلاثة منهم خارج سيارتهم ، ويهتف أحدهم فى سائقها :

ـ عد أدراجك ، وانتظرنا عند ناصية الشارع التاسع .

انطلقوا يعدون خلف (منى) ، التى اندفعت تعبر الشارع ، وسط السيارات ، التى انطلقت منها أبواق الاحتجاج ، ولكنها تجاهلتها تمامًا ، وهى تتجاوز وتتفادى إحدى السيارات ، ثم تقفز إلى مقدّمة سيارة أخرى ، ومنها إلى سقفها ، قبل أن تثب كالفهد إلى

الناحية المقابلة من الشارع ، وتندفع إلى أحد الشوارع الجانبية ..

وهتف أحد الرجال الثلاثة :

ـ يا للشيطانة ! تلك اللعينة تتحرّك بمهارة مدهشة .

عبر الثلاثة الشارع بسرعة أقل نسبيًّا ، حتى بلغوا ذلك الشارع الجانبى الصغير ، وتألّقت عينا قائدهم ، عندما شاهد ذلك الجدار الضخم ، فى نهاية الشارع ، وهتف مشيرًا إلى زميليه :

ـ إنها ما زالت هنا .

استلّوا مسدساتهم فى آن واحد ، ودارت عيونهم فى الشارع الضيق ، الذى ازدحم بمهملات البنايتين اللتين تطلّان عليه ، ثم تحرّكوا فى حذر ، وهم يحرّكون فوهات مسدساتهم يمنة ويسارًا ..

وتحرّك شىء ما إلى اليمين ، فاستدار إليه أحدهم فى سرعة مدهشة ..

وأطلق النار ..

ووثب جسد قط كبير فى الهواء ، وهو يطلق مواءً مؤلمًا ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، والدماء تنزف منه فى غزارة ..

وفى غضب ، التفت قائد الرجال الثلاثة ، إلى الرجل الذى أطلق النار ، وصاح به :

ـ ماذا دهاك يا رجل ؟! هل ترغب فى جذب أنظار رجال الشرطة إلينا ، قبل أن نتمّ مهمتنا .

غمغم الرجل فى عصبية :

ـ لقد تصوّرت أن تلك المرأة ..

قاطعه قائده فى حدة :

ـ التصوّرات غير مسموح بها فى عالمنا يا رجل .. هل تفهم هذا ؟! لقد تم تدريبكم على إطلاق النار ، على أجسام متحركة ، والمفترض فيكم أن تتبيّنوا طبيعة ما تصوّبون إليه ، قبل أن تضغط سبّاباتكم الزناد ، وإلا فستقتلون رفاقكم أنفسهم ، إذا ما واجهتم موقفًا معقدًا ، اختلط فيه الحابل بالنابل .

خفض الرجل عينيه ، قائلاً فى عصبية :

ـ إننى أعتذر ، ولكن الحديث عن خطورة تلك المرأة جعلنى ..

قاطعه قائده مرة أخرى :

ـ قلت : لا أعذار .. لقد أخطأت وحسب ، أما الحديث عن خطورة تلك المرأة ، فهو مجرّد قول ، فمهما بلغت خطورتها ، فهى مجرّد امرأة ، ولن يمكنها أن ..

قبل أن يتمّ عبارته ، هتف الثالث فجأة ، وهو يرفع مسدسه :

ـ احترسا .

ولم يجد قائدهما فرصة للاستدارة ، فقد وثبت (منى) وثبة مدهشة من اليسار ، وركلت القائد فى ظهره ركلة قوية ، دفعته إلى الأمام ، ليرتطم بالجدار فى عنف ، فى نفس اللحظة التى انحنت هى فيها ، متفادية رصاصة أطلقها الثالث ، ثم عادت تثب ، لتركل المسدس من يده ، ثم تدور حول نفسها دورة مدهشة ، وتركله فى أنفه مباشرة ..

وفى عصبية شديدة ، أمسك الثانى مسدسه بقبضتيه ، وهو يصوّبه إليها ، صائحًا :

ـ أيتها اللعينة .

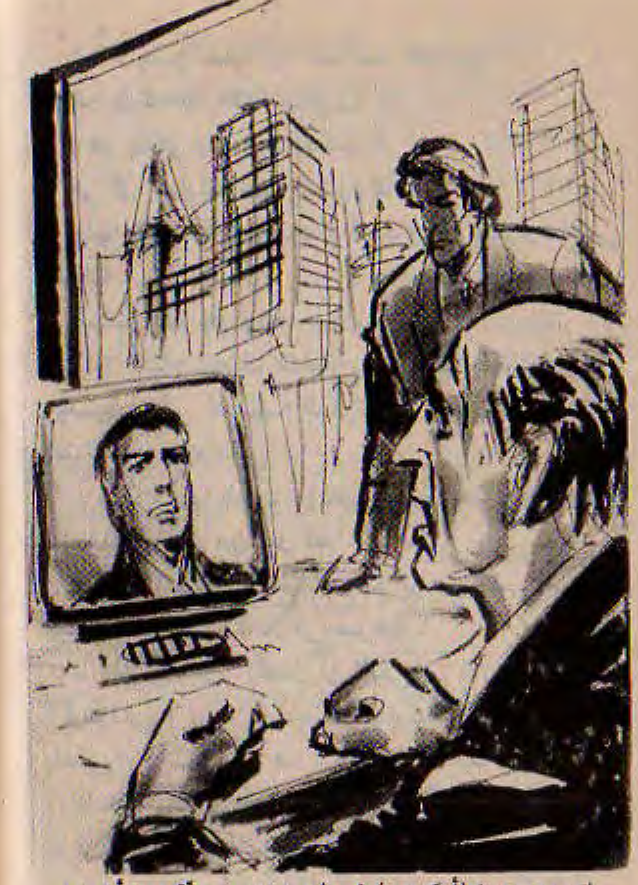
ولكن (منى) انقضّت فى خفة ، وأزاحت يده الممسكة بالمسدس ، بضربة قوية من حافة يدها ، فانطلقت رصاصته فى الهواء ، فى نفس الوقت الذى هوت فيه قبضتها على فكه كالقنبلة ، فارتدّ إلى الخلف فى عنف ، وارتطم رأسه بالجدار ، فسقط على وجهه كالحجر ..

« أيتها الحقيرة .. إنك تستحقين القتل .. » ..
استدارت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأت قائد الرجلين يمسك أنفه الدامية ، وهو يرفع مسدسه نحوها ، والغضب يشتعل فى عينيه ..
وضغط الرجل زناد المسدس ..
وانطلقت الرصاصة ..
وتفجَّرت الدماء فى الشارع الضيق ..
فى قلب (نيويورك) ..

★ ★ ★

لنصف دقيقة كاملة ، ظلَّ (سام أوكونور) يحدِّق فى صورة (أدهم) ، على شاشة المراقبة ، دون أن ينطق بحرف واحد ..
وعلى الرغم منه ، سرت فى جسده ارتجافة ..
صحيح أنه لم يلتق به قط ، فى حياته كلها ، ولكن ما قرأه وسمعه عنه ، يجعله يدرك جيدًا أنه لا يواجه رجلاً عاديًا ..
بل يواجه شيطانًا ..
شيطانًا لا يشق له غبار ..
والواقع أنه لم يتوقَّع أن يقابله قط ، طوال حياته ..

إنه لا يضع نفسه أبدًا عند خط المواجهة ..
إنه يترك هذا دائمًا للآخرين ..
وهو يكتفى بالتمويل فحسب ..
فى كل عملياته غير المشروعة ..
ولهذا فقد صدمه وجود (أدهم) ، وإصراره على مقابلته ..
صدمة وأفزعه أيضًا ..
ولقد احتاج لنصف الدقيقة هذه ، حتى يتمالك نفسه ، ويسيطر على أعصابه المتوترة ، ويستعيد لهجته الصارمة ، وهو يقول :
ـ معذرة أيها السيِّد ، ولكننى لم أتعرَّفك ، وأنا واثق من أننا لم نلتق من قبل قط ، لذا ..
قاطعه (أدهم) بغتة ، وهو يرسم على شفتيه ابتسامة شرسة ، قائلاً فى صرامة :
ـ أظن أنه من الأفضل أن تلتقى بى الآن يا مستر (أوكونور) ، وإلا فسأضطر لترتيب مقابلة أخرى بنفسى ، وأخشى أن هذا لن يروق لك أبدًا .
اتسعت عينا (أوكونور) فى ذعر ، وهو يحدِّق مرة أخرى فى شاشة المراقبة ، ثم رفع يده يداعب ذقنه فى توتر ، قبل أن يقول :



اتسعت عينا (أوكونور) فى ذعر ، وهو يحدّق مرة أخرى فى شاشة المراقبة ..

ـ فليكن .. اسمحوا له بالصعود إلى مكتبى .

ثم استدرك فى سرعة :

ـ بعد تفتيشه جيدًا بالطبع .

سأله حارس الأمن فى اهتمام :

ـ المصعد الأحمر أم الأخضر يا مستر (أوكونور) .

صمت (أوكونور) لحظة ، ثم أجاب فى اقتضاب صارم :

ـ الأحمر .

أجابه الحارس :

ـ سمعًا وطاعة يا مستر (أوكونور) .

ثم التفت إلى (أدهم) ، مستطردًا :

ـ هل تتفضّل برفع يديك يا سيّدى ؟!

رفع (أدهم) ذراعيه ، وترك الحارس يفتشه فى دقة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا رجل .. إننى لا أحمل أية أسلحة .

وفى نفس الوقت ، الذى استقل فيه (أدهم) المصعد الأحمر ، كان (بيركينز) يندفع إلى حجرة (أوكونور) ، مع أربعة من طاقم الحراسة المسلحين ، وهو يسأل فى لهفة :

ـ ماذا حدث يا مستر (أوكونور) ؟! لماذا استدعيتنا بهذه السرعة ؟!

أجابه (أوكونور) ، وهو يسير داخل حجرته الواسعة فى عصبية :

ـ إنه هنا .

سأله (بيركينز) فى حيرة :

ـ من هو ؟!

أجابه فى حدة عصبية :

ـ (أدهم صبرى) .

اتسعت عينا (بيركينز) فى دهشة بالغة ، وهتف :

ـ (أدهم صبرى) هنا ؟! كيف ؟! ولماذا ؟!

أشار (أوكونور) بيده ، مجيبًا :

ـ هذا ما سنعرفه بعد قليل ، فهو فى طريقه إلى هنا ، داخل المصعد الأحمر .. لقد خفضت سرعته إلى أقصى حد ، حتى نستعد لمقابلته .

قال (بيركينز) فى انفعال :

ـ هل تطلق عليه النار فور وصوله ؟!

هتف به (أوكونور) :

ـ كلا .. لا تزد الأمر تعقيدًا .. دعنا نعرف ما نريده أولاً .

ثم استطرد فى عصبية :

ـ ولكن لا تترددوا فى نسفه نسفًا ، لو حاول الاعتداء علىَّ .

انعقد حاجبا (بيركينز) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا مستر (أوكونور) .. إنه لن يمسّ شعرة واحدة منك ، وأنا على قيد الحياة .

مع آخر حروف كلماته ، بلغ المصعد حجرة (أوكونور) ، وانفتح بابه ، وظهر خلفه (أدهم) ، الذى دلف إلى الحجرة بخطوات واسعة ، وأدار عينيه فى وجه الرجال الخمسة فى هدوء ساخر ، قبل أن ينظر إلى (أوكونور) مباشرة ، قائلاً :

ـ أرى أنك قد أحطت نفسك بحراسة كافية ..

جلس (أوكونور) خلف مكتبه ، قائلاً فى توتر :

ـ هذا أمر طبيعى ، عندما أقابل شخصًا أجهل كل شىء عنه .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، قائلاً :

ـ تجهل كل شىء عنه ؟! أهى دعابة سخيفة ، أم محاولة فاشلة للكذب يا رجل ؟!

هتف (بيركينز) فى حدة :

ـ التزم الأدب ، عندما تتحدَّث مع مستر (أوكونور) .

التفت إليه (أدهم) فى سخرية ، وتأمله من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، قبل أن يقول متهكمًا :

ـ ومن أنت بالضبط ؟! مضحك الملك ؟!

تحرك (بيركينز) فى حدة غاضبة ، وكأنه يهم بالانقضاض عليه ، إلا أن ابتسامة (أدهم) الساخرة لم تتلاش أو تنخفض ، فى حين رفع (أوكونور) يده بحركة صارمة عصبية ، هاتفًا :

ـ (بيركينز) .

تماسك الشاب فى عصبية ، وغمغم :

ـ أوامرك يا مستر (أوكونور) .

تنحنح (أوكونور) ، وكأنما يحاول استعادة سيطرته الكاملة على أعصابه ، قبل أن يقول فى لهجة أرادها صارمة :

ـ والآن ماذا تريد أيها السيد ؟!

التفت إليه (أدهم) ، قائلاً فى صرامة ، لا تخلو من لمحة ساخرة :

ـ اسمى (أدهم) يا مستر (أوكونور) .. (أدهم صبرى) ، وأنا رجل مخابرات مصرى ، وأراهن على أن لديك ملفًا كاملاً عنى ، ما دمت أحد الممولين الرئيسيين لمشروعات السنيورا .

اتسعت عينا (أوكونور) لحظة ، غير مصدق أن (أدهم) قد فعلها ، وكشف الأوراق كلها ، على هذا النحو المباشر ، ثم لم يلبث أن تراجع فى سرعة ، قائلاً :

ـ (أدهم صبرى) ؟! سنيورا ؟! إننى لا أفهم شيئًا أيها الـ ..

قاطعه (أدهم) فى صرامة ، وهو يميل ليستند براحتيه ، على سطح مكتبه ، ويتطلع إلى عينيه مباشرة :

ـ اسمع يا رجل .. ليس لدى وقت للدخول فى مناورة كلامية سخيفة كهذه .. ولست أطلب منك حتى الاعتراف بعلاقتك بالسنيورا .. إننى هنا من أجل صديقى (سوريال) .. (موريس سوريال) ، الذى التقيت به أمس ، واختطفه رجالك فجر اليوم ، بعد أن قتلوا اثنين من أفضل زملائى وأعز أصدقائى .

بدا توتر شديد على وجه (بيركينز) ، وتبادل نظرة عصبية مع (أوكونور) ، الذى قال فى حذر :

ـ لا ريب فى أنك واهم يا مستر (أدهم) ، فلقد التقيت بالأمس بمستر (سوريال) بالفعل ، ولقد انصرف من هنا سالمًا ، و ..

قاطعه (أدهم) بلهجة صارمة مخيفة :
ـ أين هو يا مستر (أوكونور) ؟!
تراجع (أوكونور) مع تلك اللهجة ، وازدرد لعابه في صعوبة ، قبل أن يقول :
ـ موقفك غريب في الواقع يا مستر (أدهم) ، فحتى لو افترضنا أنني المسئول عن كل ما رسمه خيالك ، فلماذا أعيد لك مستر (سوريال) ؟!
ثم رفع سبابته ، مستدركًا في سرعة :
ـ هذا لو أن مستر (سوريال) الحقيقي هنا في (نيويورك) .
مال (أدهم) أكثر ، ليواصل التطلع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً :
ـ سأخبرك بالسبب ، الذي يجعلك تعيده أيها الوغد ، فلو أنكم مسستم شعرة واحدة من رأسه ، سأجعلكم تتمنون العودة إلى الجحيم ، للفرار مما ستواجهونه معي .
اتسعت عينا (أوكونور) في ارتياع ، قبل أن يقول في عصبية :
ـ قل لي يا مستر (أدهم) : أليس من الصفاقة أن

تتحدث إليَّ بهذا العنف ، مع وجود خمسة من رجالي المسلحين هنا .
ابتسم (أدهم) في سخرية ، قائلاً :
ـ رجالك ؟!
لم يكد يتم كلمته حتى أمسك (بيركينز) كتفه ، وهو يستلّ مسدسه ، قائلاً في عصبية زائدة :
ـ هل ألقيه خارجًا يا مستر (أوكونور) ، أم ..
قبل أن يتمّ عبارته ، تراجع مرفق (أدهم) بسرعة خارقة ، ليغوص في معدة (بيركينز) ، الذي أطلق شهقة ألم عنيفة ، وهو ينثني في حدة ، فاستقبلته لكمة مباشرة في أنفه ، جعلته يعتدل ، ويرتدّ ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، ليرتطم باثنين من رجاله ، ويسقط الثلاثة أرضًا في عنف ..
وفي نفس لحظة ارتداده ، كان (أدهم) يدور على عقبيه ، ملتقطًا القدّاحة الكبيرة من فوق مكتب (أوكونور) ، ثم ألقاها بكل قوته ، لترتطم بوجه رجل أمن آخر ، وتنتزعه من مكانه ، ليسقط أرضًا في عنف ..
وقفزت يد الحارس الرابع ، لينتزع مسدسه من غمده ..

ولكنه بصعوبة أمسك مقبضه ..

ولم يكد يفعل ، حتى وجد (أدهم) أمامه ، يحطّم أنفه بلكمة كالقنبلة ، ثم يحمله ، ويلقيه فى عنف على الحارسين ، اللذين حاولا النهوض ، بعد سقوطهما مع (بيركينز) ..

ثم وثب (أدهم) فى الهواء ، ودار حول نفسه بسرعة مدهشة ، ليركل الحارسين فى فكيهما ركلتين متعاقبتين سريعتين ، أنهتا الصراع ، بعد ثانيتين فحسب من بدايته ..

وبكل سرعته وذعره ، اختطف (أوكونور) مسدسه من درج مكتبه ، و ..

وفجأة ، قبضت أصابع فولاذية على معصمه ، وأدارته فى قوة ، فصرخ من فرط الألم ، وهو يفلت مسدسه مرغمًا ، و (أدهم) يجذبه من مقعده ، ويتطلّع إلى عينيه مباشرة ، قائلاً فى صرامة مخيفة :

ـ أريد (سوريال) ، سليمًا معافى ، دون أن تمسّ شعرة واحدة من رأسه ، وإلا فسأعود إليك يا (أوكونور) ، ولن ترضيك هذه العودة .. لن ترضيك أبدًا .

امتقع وجه (أوكونور) فى شدة ، وانعقد لسانه فى حلقه ، فلم ينبس ببنت شفة ، فى حين اعتدل (أدهم) ، وألقى نظرة على ساعته ، ثم استطرد بنفس الصرامة :

ـ أمامك ساعة واحدة يا (أوكونور) ..

وعدّل هندامه ، ورباط عنقه ، ثم أدار عينيه فيما حوله ، ورمق (أوكونور) بنظرة أخرى ، مكررًا :

ـ ساعة واحدة يا (أوكونور) .

قالها ، واتجه إلى المصعد الأحمر ، ودلف إليه ، واستدار فى هدوء ، ليلقى نظرة صارمة على (أوكونور) ، الذى امتقع وجهه أكثر وأكثر ، قبل أن يضغط (أدهم) زر المصعد ، فتنغلق أبوابه فى هدوء ..

ولثوان ، ظلّ (أوكونور) جامدًا فى مقعده ، حتى سعل (بيركينز) ، ونهض من سقطته ، قائلاً فى ألم :

ـ ماذا حدث ؟! هل انهار المبنى ؟!

انتزعت عبارته (أوكونور) من جموده ، فانعقد حاجباه فى غضب ، وعضّ شفتيه فى غيظ ، قبل أن يهتف :

ـ لا أحد يفعل هذا بـ (سام أوكونور) ..

وفتح درجًا سريًا فى مكتبه ، يمتلئ بالأزرار ، وهو يصرخ ، بكل غضب الدنيا .

- لا أحد .

وضغط أحد الأزرار فى عنف ، وعيناه تراقبان الشاشة ، التى تنقل صورة (أدهم) داخل المصعد ..

ومع ضغطة الزر ، توقف المصعد بغتة ، فى الطابق الثلاثين ..

وانعقد حاجبا (أدهم) فى توتر ، وهو يغمغم :

- ترى ما الذى ينتويه هذا الوغد ؟!

أما (بيركينز) ، فقد حدق فى الشاشة ، قائلاً :

- هل .. هل ستفعل به هذا يا مستر (أوكونور) ؟!

ضغط (أوكونور) زرًا آخر ، وهو يقول فى صرامة ، امتزجت بغضب هادر ، ارتجف له كيانه كله :

- إنه يستحقه .

كان (أدهم) يدير عينيه فيما حوله ، فى توتر بالغ ، داخل ذلك المصعد الخاص ، عندما ضغط (أوكونور) الزر ، و ..

وفجأة ، انفتحت أرضية المصعد ، تحت قدمى (أدهم صبرى) ، ووجد نفسه يهوى ..

يهوى من ارتفاع ثلاثين طابقًا .

* * *

٨ - سقوط ..

شعر (دى مال) بتوتر شديد ، وهو يراقب عملية تزويد المفاعل النووى بالماء الثقيل ، وراح ينقر بأصابعه فى عصبية ، على الجدار المجاور له ، فالتفت إليه (بولانسكى) ، يسأله فى دهشة :

- ماذا دهاك يا رجل ؟! ألم تر شيئًا كهذا من قبل ؟!

أجابه (دى مال) فى حدة :

- بالتأكيد .

هتف (استروتيسكى) بدهشة :

- ماذا ؟! ألم تر عملية تزويد مفاعل نووى بالماء الثقيل قط ؟!

أجابه (دى مال) فى عصبية :

- بل شاهدت هذا عشرات المرات ، ولكن ما من مرة فيها كانت بغرض إنتاج قنابل ذرية ، لتهديد أمن العالم وسلامته .

تنهد (جولهى) ، وهو يشيح بوجهه ، مغمغمًا :

- كم ترهقنى طريقة تفكيرك هذه يا (دى مال) .. ألا يمكنك أن تتكيف مع الواقع قط ؟!

قال (دى مال) غاضبًا :

- أى واقع ؟!

أجابه (بولانسكى) فى صرامة :

- واقع أننا الآن رهينة فى يد السنيورا ، وأننا مضطرون لطاعة أوامرها ، وتنفيذ كل ما تطلبه منا ، مهما كانت طبيعته .

قال (دى مال) فى مرارة :

- حتى لو كان الثمن هو حياة آلاف الأبرياء ؟!

تنهَّد (جولهى) ، قائلاً :

- وماذا بيدنا لنفعله ؟!

عضَّ (دى مال) شفتيه ، مغمغمًا فى لهجة أقرب إلى البكاء .

- نعم .. ماذا بيدنا لنفعله ؟!

غلفهم الصمت بضع لحظات ، قبل أن يتنهَّد (استروتيسكى) ، قائلا :

- ربما يمكننا النظر إلى الجانب الإيجابى للأمر ، فبعد أن ينتهى كل هذا ، سيكون لدى كل منا ثروة

طائلة ، تتيح له أن يحيا ، حتى آخر عمره ، حياة الملوك .

قال (دى مال) فى سخرية مريرة :

- يحيا ؟!

أجابه (استروتيسكى) :

- لا داعى لكل هذا التشاؤم يا (دى مال) .. لو أنك تتصوَّر أن السنيورا ستلقى قنابلها الذرية على مدن مأهولة بالسكان ، فأنت مخطئ تمامًا . إن شخصية بذكائها ودهائها ، تدرك جيدًا أن البدء بالقتل والتدمير ، يقلب كل الأمور على رأسها ، فعندما تفقد الشعوب والحكومات أمنها ، وتصبح معرَّضة للموت والتدمير فى أية لحظة ، فإنها تقاتل بكل قوتها وشراستها ، ولا يعود لديها ما تخسره ، أما عندما تخاف وترتجف فحسب ، فإنها تصبح أكثر استعدادًا للخضوع والاستسلام ، وهذا يعنى أن السنيورا ستطلق قنبلة أو قنبلتين فحسب ، فى أماكن صحراوية قاحلة ، أو فى قلب المحيط ، لتثير خوف العالم وذعره ، ثم تملى شروطها على الجميع .

تطلَّع (دى مال) إلى ثلاثتهم بضع لحظات ، فى صمت مرير ، قبل أن يقول :

ـ عندما تحدثت عن الحياة والموت ، لم أكن أقصد حياة الشعوب وموتها ، وإنما كنت أشير إلى أمر مختلف تمامًا .

سأله (جولهى) فى قلق :

ـ وما هو ؟!

تطلع إليهم لحظة أخرى ، ثم أجاب بصوت مرتجف :

ـ الشىء الذى نعلمه جميعًا ، هو أن أحدًا ـ بخلاف رجالها ، والمتعاونين معها ـ لا يعلم شيئًا عن هوية السنيورا وهيئتها ، وهى شخصية غامضة ، عديمة الملامح ، بالنسبة لكل من يسعون خلفها ، فى كل دول العالم ، وعلى الرغم من هذا ، فهى تجالسنا ، وتتحدث إلينا ، دون أدنى قلق أو حذر ، فما الذى يعنيه هذا فى رأيكم ؟! هل يعنى أنها ستصافحنا فى حرارة ، بعد أن ينتهى الأمر ، وتمنح كلاً منا ثروة ضخمة ، ثم تسمح لنا بالانصراف ، لنحيا حياة الملوك ؟!

حدق الثلاثة فى وجهه ، ثم تبادلوا نظرة مرتجفة مذعورة ..

لقد قادهم ذكاؤهم إلى فهم ما يقصده (دى مال) ويعنيه ..

وانتقلت الارتجافة إلى أجسادهم كلها دفعة واحدة .. وبمنتهى العنف ..

★ ★ ★

من المؤكد أن معايشة الخطر ، والعمل إلى جوار شخصية أسطورية ، مثل (أدهم صبرى) ، تضيف إلى المرء الكثير والكثير ، فى كل يوم يمضى ..

وهذا ما بدا واضحًا ، فى ذلك الشارع الضيق ، فى قلب (نيويورك) ..

ففى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها الرجل زناد مسدسه ، تحركت (منى) بسرعة مدهشة ، فمالت جانبًا ، وانحنت ، ثم ركلت جثة القط الضخم بكل قوتها ، فى اتجاه الرجل ..

وانطلقت الرصاصة ، لتخترق جثة القط الضخم .

وتفجرت الدماء فى عنف ..

وتناثرت على وجه الرجل وجسده ، قبل أن ترتطم به جثة القط فى قوة ..

وقبل أن يعتدل الرجل ، كانت (منى) تثب نحوه فى خفة وقوة ، ثم تركل المسدس من يده ، هاتفة :

ـ هل تعلم ما الذى ينقض عليه القط ؟!

ثم دارت حول نفسها ، وركلته فى أنفه ركلة كالقنبلة ، مستطردة :
ـ الفأر الغبى .
اندفع الرجل إلى الخلف فى عنف ، وارتطم بالجدار فى قوة ، وعندما ارتد عنه ، استقبلته قبضتها فى فكه كالصاعقة ، وهى تهتف :
ـ مثلك .
سقط الرجل عند قدميها فاقد الوعى ، فالتقطت مسدسه فى سرعة ، وهى تندفع خارج الشارع الضيق ، وأخفته بكفها اليسرى ، فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه أبواق سيارة شرطة تقترب ..
وعلى الرغم من توترها وانفعالها ، أجبرت (منى) نفسها على السير فى هدوء ظاهرى ، وهى تعبر الشارع فى الاتجاه العكسى ، عائدة إلى سيارتها ، وعندما بلغتها ، وأدارت محركها ، كانت سيارة الشرطة تتوقف أمام الشارع الضيق ، ورجال الشرطة يغادرونها فى سرعة ، لفحص ما حدث هناك ..
وانطلقت هى بسيارتها ..
كان قلبها يخفق فى قوة ، والانفعال يسرى فى عروقها ، وعلى الرغم من هذا ، فقد انطلقت فى كيانها نشوة عجيبة ، ارتجف بها كيانها كله ..
إنها أول مرة تقاتل فيها بهذه القوة ، منذ إصابتها فى (لوس أنجلوس)(*) ..
أول مرة تستعيد فيها شعورها بالقوة والثقة ، وقدرتها على مواجهة الخطر وحدها ، دون أن يكون (أدهم) إلى جوارها ..
لقد واجهت الخطر ..
وقاتلت ..
وانتصرت ..
يا له من شعور رائع !!
يا لها من نشوة !!
تدفقت دماء القوة والثقة والسعادة فى عروقها ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة واسعة ، وهى تنطلق بالسيارة فى شوارع (نيويورك) ، و ..
وفجأة قفزت صورة إلى ذهنها ..
صورة (أدهم) ..
ترى ماذا يواجه الآن ؟!

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

وكيف انتهى لقاؤه بـ (سام أوكونور) ؟!
كيف ؟!

★ ★ ★

انفتحت أرضية المصعد فجأة ، تحت قدمى (أدهم) ، ووجد نفسه يهوى بغتة ، من ارتفاع ثلاثين طابقًا ، داخل بئر المصعد ، التى بدت وكأنها ممر إلى الجحيم .. بلا نهاية ..

وفى حجرة (أوكونور) ، صرخ (بيركينز) فى انفعال ، وهو يراقب المشهد على الشاشة ، ويلوّح بقبضته فى الهواء :

ـ لقد فعلناها .

كانت مفاجأة حقيقية لـ (أدهم) بالفعل ، إلا أنه ـ كعادته ـ لم يفقد قدرته على التفكير ، وحسن تقدير الأمور ، حتى وهو يهوى فى بئر المصعد ..

لذا ، فقد تحرّك جسده كله فى الهواء ، على نحو مدهش ، واندفعت قبضتاه نحو كابل المصعد المنسدل ..

ولثوان ، بدا وكأنه لن يبلغ ذلك الكابل قط ..

وأنه سيواصل الهبوط بفعل الجاذبية الأرضية(★) ..

(★) عجلة الجاذبية الأرضية = ٩٨١سم /ث/ث .



كانت مفاجأة حقيقية لـ (أدهم) بالفعل ، إلا أنه ـ كعادته ـ لم يفقد قدرته على التفكير ، وحسن تقدير الأمور ، حتى وهو يهوى فى بئر المصعد ..

حتى الموت ..

ولكن شيئًا ما حدث ..

لقد بدا وكأن يدًا خفية قد دفعته فى قوة ، نحو كابل المصعد المنسدل ، ليتشبث به ، وتمسك به أصابعه الفولاذية فى قوة ..

وفى ذهول ، هتف (أوكونور) :

ـ مستحيل !

أما (بيركينز) ، فقد فغر فاه ، وتمتم كالأبله :

ـ كيف فعل هذا ؟!

التقى حاجبا (أوكونور) فى شدة ، وهو يغمغم فى غضب :

ـ ربما ساعده الحظ هذه المرة ، ولكنه لن ينجو .

نطقها ، وهو يضغط زرًا آخر ، فى لوحة الأزرار ، فأغلقت أرضية المصعد مرة أخرى ، ثم بدأ فى الهبوط ..

وكان هذا يعنى أن (أوكونور) ، بعد أن فشلت لعبته فى إسقاط (أدهم) ، قد قرر اللجوء إلى وسيلة جديدة ..

إلى سحقه سحقًا فى القاع ..

فالمصعد سيهبط ، حتى يبلغ أرضية البئر ..

وسيظل (أدهم) أسفله ..

حتى اللحظة الأخيرة ..

عندما تلتقى أرضية المصعد بأرضية البئر ..

وبينهما (أدهم) ..

أو ما سيتبقى منه ..

وفى هذه المرة ، لم يكن هناك مهرب ..

فالمصعد الأحمر ليس لبئره سوى مخرج علوى إلى حجرة (أوكونور) ، وآخر سفلى فى قاعة الاستقبال ..

و (أوكونور) يعرف هذا جيدًا ..

لذا فقد هتف فى ظفر :

ـ أرنا ما ستفعله الآن ، يا رجل المخابرات المصرى .

كان انغلاق أرضية المصعد قد حجب عنه ما يدور فى البئر ، لذا فقد نقل المشهد إلى قاعة الاستقبال ، فى الدور الأرضى ، متوقعًا رؤية جثة (أدهم) المسحوقة ، بعد أربعين ثانية ، هى كل الزمن ، الذى يحتاج إليه المصعد ، للهبوط إلى الطابق الأرضى ..

وكل الزمن المتبقى لـ (أدهم) ..

قبل لحظة الصفر ..

ولحظة الموت ..

وفى سرعة مذهلة ، درس عقل (أدهم) موقفه ، قبل أن يثنى جسده فى مرونة مدهشة ، ويدير ساقيه حول كابل المصعد السفلى ، ليتعلّق به فى وضع مقلوب ، والمصعد يواصل هبوطه نحو القاع ..

واقترب القاع بسرعة مخيفة ..

واقترب ..

واقترب ..

وانعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يركّز أفكاره بكل قوته ، ويتطلّع إلى أسفل ، فى انتظار لحظة بعينها ، ويداه تعملان بسرعة مدهشة ، لتركيب شىء ما ..

لقد التقط قلمًا من جيب سترته ، وقدّاحة كبيرة من جيب سرواله ، وألقى غطاء القلم ، ثم دفعه داخل تجويف القدّاحة ، وراح يديره بأقصى سرعة ، حتى ثبت فى موضعه ، فانتزع عندئذ حلية حزامه ، وألقى قاعدة القدّاحة بضربة من إبهامه ، ثم دفع حلية الحزام داخل التجويف ، الذى بدا تحت القاعدة ..

وبحركة سريعة ، والمصعد يقترب أكثر وأكثر من الأرض ، أدار (أدهم) ذلك الشىء ، ليمسك بالقدّاحة

بين أصابعه ، على هيئة مسدس ، ويضغط جانبها ..

وانطلقت من القلم رصاصة ..

بل رصاصتان متعاقبتان ..

الأولى أضاءت بئر المصعد لجزء من الثانية ، انطلقت خلاله الرصاصة الثانية ، نحو هدفها بالضبط ..

وأصابته ..

ومع إصابة ذلك الرتاج الصغير ، فى قمة المخرج السفلى ، والمصعد على ارتفاع عشرين مترًا من الأرض ، ويواصل هبوطه فى سرعة ، بدأ باب المخرج السفلى للمصعد الأحمر ينفتح ..

لقد أصاب (أدهم) ، بمسدسه الخاص ، الذى ابتكره القسم رقم عشرة ، فى جهاز المخابرات المصرى ، كأحد الأسلحة الخداعية ، الرتاج الصغير ، الذى يضغطه المصعد فى المعتاد ، عندما يبلغ الطابق المنشود ، لتنفتح أبوابه تلقائيًا ..

وكان المفترض ، طبقًا لكل القواعد ، أن يؤدى فتح الباب إلى قطع التيار الكهربى ، وتوقّف المصعد على الفور ، كإجراء أمنى وقائى ..

ولكن هذا لم يحدث ..

لقد بدأ الباب ينفتح فى بطء ونعومة ، والمصعد يواصل هبوطه السريع المخيف ..

وكان هذا يعني أن خطة (أدهم) لم تفلح ..

وأن المصعد سيواصل الهبوط به ..

حتى النهاية ..

نهايته ..

★ ★ ★

« الأمر ما زال مستحيلاً يا سيِّدى .. »

نطق رجل المخابرات المصرى العبارة فى أسف واضح ، انعقد له حاجبا المدير ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ولماذا ؟! ألم تفحصوا وتراجعوا كل المعلومات التى وردت بشأن الأربعة الكبار ؟!

تنهَّد الرجل ، قائلاً :

ـ إننا نبذل قصارى جهدنا فى الواقع يا سيِّدى ، ولكن الأمر شاق للغاية ، فهؤلاء الرجال الأربعة متشعبون إلى حد مخيف ، فهم يمتلكون العشرات من شركات السياحة ، والنقل ، والمواصلات ، والاتصالات ، حتى إن أحدهم ، وهو اليابانى (دو ماسومى) ،

يستعد الآن لإطلاق قمر صناعى ، لحساب محطة التليفزيون التى يمتلكها ، ونحن نشك فى أن ذلك القمر سيتم استخدامه لأغراض التجسُّس ، ونحن نجمع المعلومات من كل هذه الجهات ، حتى إنها تتدفق علينا بالآلاف ، مما يحتاج إلى جهاز منفصل ، مع طاقم ضخم من المتابعين ؛ لجمعها ، وتصنيفها ، ناهيك عن عملية تحليلها ، واستنباط ما نسعى خلفه منها .

وتنهَّد مرة أخرى ، قبل أن يضيف فى أسى :

ـ صدقنى يا سيِّدى .. إننا نبذل قصارى جهدنا .

التقى حاجبا المدير فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى الرجل فى صمت ، ثم لم يلبث أن نهض من خلف مكتبه ، وراح يتحرَّك فى حجرته ، فى توتر ملحوظ ، عاقدًا كفيه خلف ظهره ، قبل أن يتوقَّف أمام النافذة لبضع لحظات ، ويقول :

ـ لابد أنه هناك وسيلة ما .. ما من شخص يمكن أن يحجب عن الآخرين أمورًا كهذه إلى الأبد .. هناك ثغرة ما حتمًا .. ثغرة لابد أن نعثر عليها ، وننفذ منها إلى العالم السرى لهؤلاء العمالقة الأربعة .

ثم استدار إلى الرجل بحركة حادة ، متابعًا فى انفعال :

ـ لقد فقدنا اثنين من أفضل رجالنا .. (محمود) و(فائق) ، وهما يعملان من أجل وطنهما ، ولا ينبغى أن ينساهما الوطن أبدًا .. لابد أن نتضافر جميعًا من أجلهما ، من أجل الثأر من الأوغاد ، الذين فعلوا بهما هذا .. هل تفهم .. فلنعمل جميعًا من أجل روحيهما .

تفجَّر الحماس فى هيئة الرجل وصوته ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. بالتأكيد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف الخاص للمدير ، فتحرَّك هذا الأخير فى خفة ، والتقط سمَّاعته ، قائلاً :

ـ من المتحدِّث ؟!

أتاه صوت مدير أمن المبنى ، وهو يقول :

ـ سيِّدى .. الدكتور (راضى) هنا ، ويطلب مقابلتك شخصيًا ؛ لأمر يصفه بأنه بالغ الأهمية ، وعاجل للغاية .

صمت المدير لحظة ، ثم قال فى حزم :

ـ سأستقبله فى حجرة الاجتماعات الصغرى .

لم تمض دقائق خمس ، على قوله هذا ، حتى كان الدكتور (راضى) يدلف إلى حجرة الاجتماعات الصغرى ، والمدير ينهض لاستقباله ، قائلاً :

ـ أهلاً يا دكتور (راضى) .. ترى ما الأمر الخطير العاجل ، الذى أردتَ مقابلتى بشأنه ؟!

عدَّل الدكتور (راضى) منظاره فوق أنفه ، وهو يتنحنح ، قائلاً :

ـ الواقع أننى أعدت التفكير فى تلك الأمور ، التى تحدثنا عنها ، ووجدت نفسى أنظر إليها من زاوية جديدة .

سأله المدير فى توتر :

ـ ماذا تعنى بزاوية جديدة يا دكتور (راضى) ؟! هل توجد نظريات اقتصادية أخرى ، حول الموقف ذاته ؟!

هزَّ الدكتور (راضى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاَّ .. النظريات الاقتصادية واحدة ، ولكن زاوية النظر إلى الأمور هى التى تختلف .. تمامًا مثل القوانين .. كلها واحدة ، ولكن وجهة نظر القاضى

قد تتفق مع وجهة نظر وكيل النيابة ، وتختلف مع رؤية المحامى ، أو العكس بالعكس .. لهذا تكون هناك أحكام بالبراءة ، وأخرى بالإعدام ، فى قضايا متشابهة .

اعتدل المدير فى مجلسه ، وقال :

ـ عظيم .. ما الزاوية الجديدة ، التى نظرت بها إلى الأمور إذن ؟!

أشار الدكتور (راضى) بسبابته ، قائلاً :

ـ الأمر يحتاج فى البداية إلى جواب مباشر ، لسؤال هام للغاية .

ثم مال نحوه ، ليسأل فى اهتمام بالغ :

ـ عندما ناقشنا عملية سقوط عمالقة الاقتصاد الأربعة ، أى شىء كنتم تهدفون إليه بالضبط .. تحطيم كياناتهم الاقتصادية ، أم القضاء عليهم كأشخاص ؟!

التقى حاجبا المدير بشدة مع السؤال ، وتراجع فى مقعده ببطء ، وهو يتطلع إلى الدكتور (راضى) فى صمت ..

فإجابة هذا السؤال ، قد تكشف الهدف الفعلى للجهاز ..

وهذا يتنافى تمامًا مع قواعد السرية ..

ولكن الدكتور (راضى) خبير فى مجاله ..

ولكى يمنحهم رأيًا صحيحًا ، لابد أن يدرك أبعاد الموقف جيدًا ..

ودون أية مواربة ..

لذا ، فقد اعتدل المدير فى مجلسه مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ إننا لا نسعى بالتأكيد لتحطيم أية كيانات اقتصادية يا دكتور (راضى) ، ولكن المشكلة أن الأفراد ، الذين يمتلكون تلك الكيانات الاقتصادية ، ويسيطرون عليها ، يسيئون توجيه قوتها الرهيبة ، فيدفعونها نحو جوانب شريرة ، يمكن أن تعرّض حياة العالم أجمع للخطر .. بل يمكنك القول إنها ، طبقًا لما لدينا من معلومات ، تعرّض العالم للخطر بالفعل ، فى هذه اللحظة .

وصمت برهة ، قبل أن يضيف فى صرامة :

ـ ونحن نرغب فى منع هؤلاء الأربعة ، من توجيه قوتهم وثرواتهم إلى هذا الجانب المظلم .

ظلَّ الدكتور (راضى) يتطلَّع إليه لحظة فى صمت ، ثم لم يلبث أن هزَّ رأسه ، وعدَّل منظاره فوق أنفه ، وقال :

ـ فهمت .

ثم تنحنح ، وشدَّ قامته ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة واثقة ، وهو يضيف :

ـ فى هذه الحالة أعتقد أن لدى الحل .. حل تلك القضيةِ المعقَّدة .

نطقها بصوت يموج بالثقة ، وراحت ابتسامته تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

★ ★ ★

كان باب مدخل المصعد السفلى ينفتح فى بطء ..

والمصعد يهبط فى سرعة مخيفة ..

والقاع يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

و(أدهم) معلَّق من ساقيه ، فى كابل المصعد السفلى ..

ورأسه إلى أسفل ..

وأمامه ثانية واحدة ..

ثم يلتقى المصعد بالقاع ..

ويسحقه سحقًا ..

ثانية واحدة فحسب ..

وفى مكتبه ، شاهد (أوكونور) الباب ينفتح ، فى قاعة الاستقبال ، قبل أن يهبط المصعد ..

ولم يفهم لماذا حدث هذا :

وانعقد حاجباه فى شدة ، وتحرَّكت سبَّابته نحو زر أزرق كبير ، فى لوحة الأزرار ، وهو يغمغم :

ـ ترُى لماذا ..

لم تكن كلمته قد اكتملت بعد ، عندما ظهر جسد (أدهم) عبر الباب نصف المفتوح ، وهو يهوى نحو القاع ، ورأسه إلى أسفل ..

وشهق (بيركنز) انفعالاً ..

وفى ذلك الجزء من الثانية ، الذى استغرقته شهقته ، حدث كل شىء ..

عقل (أدهم) درس الموقف كله كالمعتاد ، وهو يقترب من الأرض بسرعة مذهلة ..

باب المدخل نصف مفتوح ..

والمصعد يهوى ..

ويهوى ..

وبسرعة تنافس البرق فى ليلة ممطرة ، اتخذ عقله قراره ، ونقله إلى أطرافه ، التى استجابت على الفور ، و ...

وثب (أدهم) ..

وثب من هذا الوضع المقلوب ، كلاعب ترابيز محترف ، واندفع جسده فى رشاقة مذهلة ، عبر الباب نصف المفتوح ، لينزلق على أرضية قاعة الاستقبال ، وسط شهقات الجميع وصرخاتهم المذعورة ..

وهبط المصعد ليلتقى بالقاع ، فى نفس اللحظة التى رأى فيها (أوكونور) ورجاله هذا المشهد المبهر ، على شاشة المراقبة ، وصرخ الأخير :

ـ لا .. مستحيل !

ثم اندفعت سبابته تضغط ذلك الزر الأزرق الكبير ، وهو يصرخ عبر مكبِّر صوتى :

ـ أوقفوا هذا الرجل .. أوقفوه .. لقد حاول قتلى .

ومع ضغطة الزر ، انطلقت صفارات الإنذار فى المبنى كله ، وامتزجت بصرخته ، التى نقلتها مكبرات الصوت إلى كل مكان ، فى نفس الوقت الذى بدأت فيه ألواح زجاجية سميكة ، مضادة للرصاص ، فى الهبوط ، عند كل المداخل والمخارج والنوافذ والأبواب ..

واستلّ رجال أمن المبنى ، فى الطابق الأرضى ، مسدساتهم ، وهم يندفعون نحو (أدهم) ، الذى وثب واقفًا على قدميه ، وأطلق رصاصة من مسدسه الخداعى ، أطاحت بمسدس أحد رجال الأمن الأربعة ، ثم دار ليطلق رصاصة أخرى ، اخترقت يد رجل أمن ثانٍ ، قبل أن يقفز ، ويدور حول نفسه ، ليركل الثالث ركلة قوية فى فكه ، ألقته ثلاثة أمتار إلى الخلف وصرخات رواد المكان تنطلق هلعة مذعورة ..

وبكل قوته وسرعته ، اندفع (أدهم) نحو مدخل البناية ، الذى يهبط أمامه ذلك الحاجز الزجاجى المضاد للرصاص ..

وصرخ رجل الأمن الرابع ، وهو يحاول اعتراض طريقه :

ـ قف وإلا ..

قبل أن تكتمل عبارته ، وثب (أدهم) يلكمه لكمة كالقنبلة ، فى أنفه مباشرة ، ثم ترك جسده يسقط أرضًا ، وهو ينزلق على أرضية المدخل الرخامية ، نحو الحاجز ، الذى يواصل هبوطه ..

وشهق الجميع فى ذعر مبهور ، عندما رأوا (أدهم) ينزلق على الأرضية الرخامية ، مندفعًا نحو الحاجز السميك ، الذى يواصل هبوطه ، فى سرعة متوسطة نسبيًا ..

ولثوان ، بينما كان جسده يعبر تلك المسافة الصغيرة ، بين الأرضية والحاجز ، خُيِّل للجميع أن الحاجز السميك سيهبط فوقه ..

وسيسحقه سحقًا ..

ولقد كاد هذا يحدث بالفعل ..

لولا جزء من عشرة أجزاء من الثانية ..

ففى ذلك الجزء الضئيل ، سحب (أدهم) قدميه بسرعة مذهلة ..

وهبط الحاجز من خلفه ..

وكان المشهد مبهرًا ، حتى إن صمتًا قد ساد المكان لحظة ، نهض (أدهم) خلالها ، واقفًا على

قدميه ، وتطلّع إليهم ، من خلف الحاجز الزجاجى السميك ، قبل أن يرفع عينيه إلى آلة المراقبة السرية ، ويقول فى صرامة مخيفة :

ـ سأعود ..

ارتجف (أوكونور) ، عند سماعه العبارة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، فى حين هتف (بيركينز) فى ذهول :

ـ مستحيل ! لقد فعلها .. مستحيل !

نطقها و (أدهم) يتحرّك فى سرعة ، ويختفى وسط عشرات المارة ، فى الشارع المزدحم ، فران على الحجرة صمت ثقيل مهيب ، والجميع يتطلّعون إلى (أوكونور) فى توتر قلق ، فى انتظار رد فعله ، إلى أن قطع (بيركينز) هذا الصمت ، قائلاً فى مقت :

ـ يا له من شيطان محظوظ !

التفت إليه (أوكونور) بحركة حادة ، صارخًا فى وجهه :

ـ محظوظ ؟!

ثم هبّ من مقعده ، متابعًا فى ثورة ، وكأنما وجد الفرصة لإفراغ انفعالاته كلها :

ـ هذا القول لا يأتى إلا من وغد غبى ، يتصوَّر نفسه أبرع أهل الأرض وأكثرهم قوة وحنكة ، أو يشعر بالغيرة من كل من يتفوَّق عليه .

احتقن وجه (بيركينز) ، وقال متوترًا :

ـ مستر (أوكونور) .. إنما كنت أعنى ..

قاطعه (أوكونور) ، مواصلاً ثورته :

ـ ذلك الرجل هو أخطر ضابط مخابرات ، في العالم أجمع ، وكلنا نعلم هذا ، ولدينا ملفٌ كاملٌ يؤكد هذه الحقيقة ، والوسيلة الوحيدة لمواجهته ، وللتغلُّب عليه فيما بعد ، هى أن نعترف بقوته وقدراته ، لا أن نعمى عيوننا عنهما ، وأن نتعامل معه من هذا المنطلق .

وانعقد حاجباه فى شدة ، على نحو جعله أشبه بالشياطين ، وهو يضيف :

ـ وإلا فالويل لنا .

ازداد احتقان وجه (بيركينز) ، وأشار إلى رجاله بالانصراف ؛ خشية أن يتلقَّى إهانات أخرى أمامهم ، من رئيسه الغاضب ، وانتظر حتى أغلقوا الباب خلفهم ، ثم تنحنح ، قائلاً :

ـ أوامرك يا مستر (أوكونور) .

تألَّقت عينا (أوكونور) بغضب وحشى ، وهو يقول :

ـ ذلك المليونير الزائف (سوريال) ..

قال (بيركينز) بسرعة :

ـ هل نقتله ، ونرسل إليه جثته ؟!

لوَّح (أوكونور) بسبَّابته نفيًا ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ ليس الآن .. مازلنا نحتاج إليه ، كخط دفاع أخير ، فى مواجهة ذلك الشيطان .. قدومه إلى هنا ، وكشف أوراقه كلها ، يعنى أن أمر ذلك البدين يهمه بشدة ، وأنه مستعد للإقدام على أية حماقة لاستعادته .

وانعقد حاجباه لحظات فى صمت ، ثم أضاف فى حزم :

ـ وعلينا أن نستغل هذا بأفضل ما يمكننا .

سأله (بيركينز) فى حذر :

ـ ماذا تقترح يا مستر (أوكونور) ؟!

رفع (أوكونور) عينيه إليه ، قائلاً :

ـ سأخبرك يا (بيركينز) .

وبدأ يشرح خطته ..

واتسعت عينا الشاب فى انبهار ..

فقد كانت خطة شيطانية ..

للغاية .

* * *

٩ - القمـــــة ..

« مـا زال التكتم الشديد هو السمة الغالبة ، فـى مؤسسة (سيتاديل) ، بعد الأحداث العنيفة ، التـى جرت فيها ، منذ بضع ساعات .. »

ألقت مذيعة محطة (سى . إن . إن) العبـارة ، وهى تقف أمام مبنى (سيتاديل) ، الذى بدا على الشاشة محاطًا بالصحفيين ورجال الإعلام ، والعديد من الفضوليين ، وتابعت فى حماس ، وكأنها تصف أحداث حرب عالمية ثالثة :

ـ رجال الأمن هنا يؤكدون أنه مجردُ حادث عادىٍ ، تسبب فيه عامل إصلاح المصعد ، فى حين يؤكد بعض الشهود وقوع تبادل إطلاق نيران ، فى قاعة الاستقبال ، ولكن شهادة البعض منهم تبدو غير منطقية على الإطلاق ، فهم يصفون أحداثًا خارقة ، تبدو أشبه بمشاهد أحد أفلام (ستالونى) أو (شوارزنجر) ، منها بأحداث حقيقية ، هذا وقد

رفض مستر (سام أوكونور) ، رئيس وصاحب مؤسسة (سيتاديل) الإدلاء بأية أحاديث صحفية فى الوقت الحالى ، متعللاً بأنه يكره إضاعة الوقت فيما لا يفيد .

تنهدت (منى) ، وهى تستمع إلى هذا الحديث ، وقالت فى أسى :

ـ يا لهم من أوغاد .. هل تعتقد أنهم سيؤذون (قدرى) ؟!

صمت (أدهم) لحظة ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ ستكون أكبر حماقة يرتكبونها فى حياتهم ، لو أنهم مسّوا شعرة واحدة من رأسه .

قالت فى قلق حزين :

ـ ربما يحاولون تعذيبه ؛ ليحصلوا منه على أية معلومات عنا .

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لديهم كل ما يحتاجون إلى معرفته ، ولقد واجهتهم بأوراق مكشوفة ، حتى لا أمنحهم سببًا واحدًا للإساءة إليه ، ثم إنه ورقتهم الرابحة ، ووسيلتهم الوحيدة للضغط علينا ، وسيحرصون عليها بشدة .

سألته فى اهتمام :

- ما الذى تعتقد أنهم سيفعلونه إذن ، بعدما انتهت مواجهتكما الأولى على هذا النحو ؟!

أجابها على الفور :

- سيتصرَّفون بسرعة وتهوّر ، فى محاولة لاحتواء الموقف ، وتأمين أنفسهم .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف فى حزم :

- وربما يفيدنا هذا كثيرًا .

غمغمت فى قلق :

- ربما .

كانت تحاول إبعاد ذهنها عن التفكير فى هذا الأمر ، وحاولت أن تقول شيئًا ما ، إلا أنها وجدت نفسها تسأله :

- وماذا عن ذلك التقرير ؟!

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يلتقط نسخة تقرير وزارة الدفاع الأمريكية ، بشأن عملية اقتحام جزيرة هيل ، وطالع تلك الفقرة الخاصة بالعثور على أشلاء امرأة وطفل ، قبل أن يسألها فى توتر :

- أأنت واثقة من أن ذلك الجندى ، فى مركز المعلومات ، قد أكَّد لك أن هذه هى النسخة الوحيدة للتقرير ، وأنه من الناحية الرسمية ، لم تجر عليها أية تعديلات .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

- ليس هذا فحسب ، وإنما طاردنى هؤلاء الرجال بعدها أيضًا .

سألها فى اهتمام :

- هل تعتقدين أنه أرسلهم خلفك ؟!

هزّت كتفيها ، قائلة :

- كيف حدَّدوا موقعى إذن ؟

قال بسرعة :

- ربما يتبعونك منذ البداية .

هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :

- لا تقل هذا لفتاة مخابرات محترفة مثلى .

غمغم :

- بالتأكيد .

ثم أمسك ذقنه بسبَّابته وإبهامه ، وراح يفكِّر بصوت مرتفع ، قائلاً :

- إذن فذلك الجندى قد تعرَّفك على نحو ما .. ربما رأى صورتك ، أو أن أحدهم قد وضعها نصب عينيه .

قالت فى اهتمام :

- أو أنهم يتتبعون كل من يطلب نسخة من هذا التقرير بالتحديد .

أشار إليها ، قائلاً :
ـ هذا محتمل ، ولكن نسبة احتماله منخفضة إلى حد ما ، إذ إنه هناك العديدون ممن قد يطلبون الحصول على نسخة من تقرير كهذا .. رجال الصحافة .. الباحثون .. وربما بعض الدارسين ، فى وحدات الجيش المختلفة ، وهم لن يتعقبوا كل شخص من هؤلاء ، أو يحاولوا قتله ، لمجرد أنه قد حصل على نسخة من التقرير ، وإلا ما قاموا بتزييفه أساسًا .
انعقد حاجباها ، وهى تقول فى قلق :
ـ إذن فقد كانوا يتعقبوننى شخصيًا .
لوّح بيده ، قائلاً :
ـ على الأرجح .
ثم عاد يداعب ذقنه بسبابته وإبهامه ، مستطردًا :
ـ ولكن فى كل الأحوال ، فالأمر ليس طبيعيًا .. تزوير تقرير رسمى ، وشراء جزيرة (هيل) ، وتعقبك ، مع محاولة قتلك ، عندما حصلت على نسخة من التقرير .. إن كل هذا فى رأيى يعنى أمرًا واحدًا .
ورفع عينيه إليها ، وبدا الانفعال واضحًا فى صوته ، وهو يقول :
ـ أن (سونيا جراهام) على قيد الحياة .

أجابته (منى) فى سرعة :
ـ أو أن أحدهم يحاول الإيحاء بهذا .
انعقد حاجباه فى شدة ، عندما طرقت هذا الأمر ، وأدرك فجأة أنه لم يفكر فى هذا الاحتمال من قبل قط ..
ربما لأن كل ذرة فى كيانه ، كانت تتمنى لو أنها على قيد الحياة ..
ولو أن ابنه كذلك ..
ربما ..
ولكن عندما طرحت (منى) الاحتمال الآخر ، أيقظت روح الشك فى أعماقه ..
لماذا لا تكون بالفعل مجرد محاولة ذكية متقنة ، للإيحاء بأن (سونيا) على قيد الحياة ؟!
لماذا لا تكون وسيلة خبيثة ، لإبعاد الأنظار عن الهوية الحقيقية للسنيورا ؟!
تمامًا مثل تلك الصورة الكبيرة ، فى ذلك الوكر ، وسط جبال (بوليفيا) .
صورة (سونيا جراهام)(*) .
« أنت على حق يا (منى) .. »

(*) راجع قصة (عمالقة الجبال) .. المغامرة رقم (١١٧) .



انعقد حاجباه فى شدة ، عندما طرقت هذا الأمر ، وأدرك فجأة أنه لم يفكر فى هذا الاحتمال من قبل قط . .

نطق العبارة فى حزم شديد ، جعل (منى) تتطلَّع إليه فى دهشة ، قائلة :

ـ حقًّا ؟!

بدا شديد الحماس ، وهو يقول :

ـ إنها قد تكون بالفعل مجرَّد محاولة عبقرية ، لإخفاء الهويَّة الحقيقية للسنيورا ، عن طريق دفعنا بذكاء إلى طريق جانبى ، يوحى إلينا بأن (سونيا جراهام) على قيد الحياة .

كرَّرت مبهورة :

ـ حقًّا ؟!

تابع بنفس الحماس :

ـ بالطبع .. إنها لعبة متعدِّدة الخطوات ، تبدأ بوضع صورة كبيرة لـ (سونيا جراهام) ، فى وكر السنيورا ، فى قلب جبال (بوليفيا) ، بحيث يقر فى أذهاننا أنها السنيورا ، فى حين أن (سونيا) الحقيقية لم تضع أية صورة كبيرة لها ، فى أى مكان أدارت منه أعمالها من قبل ، طوال فترات صراعنا الطويلة .. بل إنه ليس من المنطقى أن تضع صورة كهذه ، يمكن أن ترشد إلى هويتها ، إذا ما تم اقتحام الوكر لسبب ما .

غمغمت (منى) :

ـ ولكنها نسفت ذلك الوكر بالفعل .

أشار بسبَّابته ، قائلاً :

ـ لم تنسفه مباشرة ، وإنما منحت من بداخله بعض الوقت ، ليشاهدوا الصورة الكبيرة ، التى وضعتها فى الجدار المواجه للمدخل ، بحيث لا يمكن أن تخطئها عين ، ثم منحته أيضًا فترة للفرار ، قبل انفجار الوكر ..

هزّت كتفيها ، قائلة :

ـ لا يمكنها أن تتوقَّع نجاة من بالداخل .

قال فى حزم :

ـ ولكنها منحته الفرصة لهذا .

ثم تابع فى انفعال ، وهو يدور فى المكان :

ـ ثم ننتقل إلى عمليات الإصلاح ، فى جزيرة (هيل) ، والتقرير الذى يحتفظ به ذلك الرجل هناك ، والذى يحمل تلك الفقرة الزائفة ، حول العثور على أشلاء المرأة والـ .. والطفل .. لقد رفض الرجل اتخاذ أية إجراءات رسمية ، على الرغم من أننا حطمنا يد أحد رجاله ، ورفض حتى الحصول على تعويض ، عرضناه عليه بكل سخاء ، مدعيًا أنه لا يرغب فى

إثارة أية أقاويل ، حول مشروع سياحى وليد كهذا ، ولكن الواقع أنه أراد جذبنا إلى القلعة نفسها ، وإلى قراءة ذلك التقرير .

قالت محذِّرة :

ـ (أدهم) .. نحن الذين طلبنا رؤية القلعة .

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ ألم يكن هذا مطلبًا يمكن توقُّعه ؟!

ثم لوَّح بيده ، مستطردًا :

ـ وكان من الطبيعى بعدئذ ، أن نسعى للحصول على نسخة من التقرير الزائف ، وعندما نفعل ، يطاردك بعض الرجال بأسلوب ساذج فج ، وكأنهم يرغبون فى منحك ذلك الشعور ، بأنك قد ارتكبت خطأ ما ، عندما حصلت على نسخة التقرير .. كل هذا من الطبيعى أن يوحى بأن (سونيا جراهام) على قيد الحياة ، وأنها تبذل قصارى جهدها ، لإخفاء حقيقة وجودها .

قالت ، وقد انتقل إليها حماسه :

ـ وهكذا يتصوَّر الجميع أن (سونيا) هى السنيورا ، وتتركز جهودهم فى البحث عنها ، فتنصرف أنظارهم عن السنيورا الحقيقية .

هتف (أدهم) ، وهو يشير إليها بسبَّابته :
ـ بالضبط .
ثم استعاد رصانته وهدوءه ، وهو يقول :
ـ ولكن هذا يقودنا إلى السؤال الأوَّل من جديد .
والتقى حاجباه فى شدة ، مستطردًا :
ـ من هى السنيورا ؟!
لم يكد سؤاله يكتمل ، حتى ارتفعت دقَّات متتابعة منظَّمة ، على باب المنزل الأمن ، فقالت (منى) فى سرعة :
ـ إنه (وصفى) .
وأسرعت تفتح الباب لمندوب المخابرات ، الذى اندفع إلى المكان فى انفعال واضح ، جعل (أدهم) يسأله فى اهتمام :
ـ ماذا لديك ؟!
أجابه (وصفى) لاهثًا :
ـ الأمور متوترة للغاية فى (سيتاديل) ، و (سام أوكونور) سيقضى ليلته هناك ، بحجة أنه سيراجع حسابات العامين الأخيرين بنفسه ، لشكه فى حدوث اختلاسات فى إيرادات المؤسسة .
سأله (أدهم) :

ـ وماذا عن (قدرى) ؟!
أجابه (وصفى) فى سرعة :
ـ رجالنا انتشروا فى كل مكان فى (نيويورك) ، لجمع كل المعلومات الممكنة عنه ، ولكن العالم السفلى كله يخشى التعامل مع أى مخلوق ، عندما يرد ذكر (سام أوكونور) أو مؤسسته .
بدا الغضب على وجه (أدهم) ، وهو يقول :
ـ لابد أنه هناك معلومة فى مكانٍ ما .
أشار (وصفى) بسبَّابته ، قائلاً :
ـ فى (سيناديل) نفسها .
سأله (أدهم) :
ـ ماذا تعنى ؟!
أجابه الرجل فى حماس :
ـ لقد تنكر أحد رجالنا فى هيئة عامل نظافة ، وتسلَّل إلى الباب الخلفى للمبنى ، ويقول إنه رأى سيارة (فان) كبيرة ، تدخل المرآب الخاص بـ (أوكونور) ، فاختفى فى أحد الأركان ، ليراقب الموقف ، ورأى بعض الرجال ينزلون شخصًا بدينًا من السيارة ، مقيَّد اليدين خلف ظهره ، وعلى وجهه كيس من القماش الأسود ، لمنعه من الرؤية ، ولقد

دفعوه أمامهم فى قسوة ، حتى مصعد المرآب ، الخاص بـ (سام أوكونور) ، واستقلوه معًا ، وهم يحملون أسلحتهم .

هتفت (منى) :

ـ يا إلهى ! إنه (قدرى) !

أشار إليها (أدهم) أن تتماسك ، وهو يسأل (وصفى) :

ـ هل يتوقف ذلك المصعد فى طوابق أخرى ، داخل المبنى ؟!

هز الرجل رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. إنه يصعد إلى حجرة (أوكونور) مباشرة ، مثل المصعد الأحمر .

التقى حاجبا (أدهم) لبعض الوقت ، قبل أن يغمغم :

ـ لهذا سيقضى (أوكونور) ليلته فى (سيتاديل) ، فهو سيقضيها فى استجواب (قدرى) المسكين .

هتفت (منى) مذعورة :

ـ يا إلهى !

وقال (وصفى) :

رجالنا يقولون إن المبنى قد تحول إلى قلعة حقيقية ، فور انصراف موظفيه ، فالحراس يحملون مدافعهم الآلية ، ويدورون فى المبنى طوال الوقت ، وكل

النوافذ والمداخل مغلقة بتلك الألواح الزجاجية السميكة ، المضادة للرصاص ، وحتى مداخل وممرات التهوية ، تم تسخينها إلى درجة الاحمرار ، حتى لا يتسلل إليها أو عبرها أحد .

غمغم (أدهم) فى صرامة :

ـ هذا سبب آخر ، لقضاء (أوكونور) ليلته فى (سيتاديل) ، فهو يتصور أنه سيجد فيها الحماية اللازمة ، بعد أن هددته بالعودة إليه .

ثم تألقت عيناه ، وهو يستطرد :

ـ لذا فستكون المفاجأة مذهلة ، عندما يجدنى أمامه .

اتسعت عينا (وصفى) فى دهشة ، فى حين هتفت (منى) :

ـ (أدهم) .. فيم تفكر ؟!

التقط سماعة الهاتف ، مجيبًا :

ـ فى استئجار طائرة أخرى .

هتفت :

ـ (أدهم) .

تطلع إليها ، وهو يضغط أزرار الهاتف ، ويبتسم ابتسامة كبيرة ..

وغامضة ..

★ ★ ★

« أنت على حق يا (أدهم) .. »

نطقت (منى) العبارة ، وهى تتطلع إلى سطح (سيتاديل) ، عبر منظارها المقرب ، المجهز للرؤية الليلية ، من داخل الهليوكوبتر ، التى يقودها (وصفى) ، والتى حلقت على ارتفاع ثلاثين مترًا من السطح ، ثم تابعت فى شىء من الارتياح :

ـ لا توجد أية حراسة على السطح .

ابتسم (أدهم) ، وهو يفحص مسدسه ، قائلاً :

ـ هذا يتفق مع طبيعة (أوكونور) .. إنه يرغب دائمًا فى أن يكون على القمة ، ولن يسمح لأحد بأن يعلوه ، حتى ولو كانوا رجال أمنه الخاص .

دار (وصفى) دورة أخرى بالهليوكوبتر ، متسائلاً :

ـ ما الذى ستفعله بالضبط يا سيادة العميد ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو يثبت على كتفيه حقيبة صغيرة :

ـ سأهبط على سطح (سيتاديل) ، ثم أستخدم الحبال لأتدلى إلى واجهة حجرة (أوكونور) الزجاجية ، و ..

أكملت (منى) فى قلق :

ـ وتقتحمها فى عنف ؛ لتسيطر على المكان كله .

ابتسم ، قائلاً :

ـ بالضبط .

ابتعد (وصفى) عن المبنى لمسافة كبيرة ، وهو يسأل فى توتر :

ـ هل تعتقد أن هذا بالأمر السهل يا سيادة العميد ؟!

هز (أدهم) رأسه نفيًا فى هدوء ، وهو يقول :

ـ على العكس يا (وصفى) .. إنه أمر بالغ الصعوبة ، حتى إن أحدًا لم يضعه فى الحسبان ، فالسطح مستو تقريبًا ، وبلا أسوار ، وفوقه شعار المؤسسة ، الذى يتألق فى الليل ، وليس له سوى مدخل واحد صغير ، يستخدمه عمال الصيانة ، فى حالة حدوث أية أعطال طارئة ، وهذا المدخل الصغير يبدأ من الطابق الثلاثين ، أسفل مكتب (أوكونور) مباشرة ، ويقف عليه حارسان مسلحان طوال الوقت ، لمنع أى كائن كان من الصعود إلى السطح ، دون تصريح رسمى ، من (سام أوكونور) شخصيًا .

ثم ابتسم ، قائلاً :

ـ إنها مشكلة القمة .

وافقه (وصفى) بإيماءة متوترة من رأسه ، فى حين قالت (منى) بصوت مرتجف :

- احترس يا (أدهم) .. من أجلي على الأقل .

تطلع إليها فى حنان ، وابتسم قائلاً :

- سأفعل .

ثم أشار إلى (وصفى) ، قائلاً :

- والآن ستدور دورة إضافية ، على مساحة واسعة ، ثم تنخفض إلى ارتفاع عشرة أمتار من سطح المبنى ، وعندما أقفز إليه ، انطلق مبتعدًا على الفور .

سألته (منى) فى توتر :

- ولماذا لا نواصل الدوران حول المبنى ، حتى نطمئن إلى نجاحك ؟!

أجابها فى حزم :

- هناك عدة أسباب لهذا .. أهمها أن دوران الهليوكوبتر المستمر قد يجذب انتباه العديدين إلى المبنى ، ومنهم (أوكونور) نفسه ، ورجاله الذين سيراودهم الشك حتمًا فى هذا الأمر ، وربما يسعون لتفقد السطح ، وتفشل العملية كلها .

تطلعت إليه بعينين قلقتين ، فربت على كفها ، قائلاً :

- ثم إنه لديكم دور لتلعبوه .

أومأت برأسها متفهمة ، فمنحها ابتسامة عذبة ، قبل أن يلتفت إلى (وصفى) ، قائلاً فى حزم :

- الآن .

أكمل (وصفى) دورته الأخيرة ، ثم اتجه بالهليوكوبتر نحو المبنى ، وهو ينخفض إلى ارتفاع عشرة أمتار ، فى حين استعد (أدهم) للقفز ، وراح قلب (منى) يخفق فى قوة ، وهى تتمتم :

- ساعده يا إلهى ! ساعده ..

لم تكن المرة الأولى ، التى تشاهد فيها (أدهم) ، وهو يستعد للقيام بعمل انتحارى كهذا ، ولكنها ، ولسبب ما ، كانت تشعر بخوف شديد هذه المرة .

شىء ما فى أعماقها ، كان يشعر أنه سيواجه خطرًا داهمًا ..

خطرًا قد يبلغ حدًا مخيفًا ..

رهيبًا ..

ومميتًا ..

لذا فقد هوى قلبها بين ضلوعها ، عندما وثب من الهليوكوبتر ، هاتفًا :

- والآن ..

وشهقت ، عندما رأت جسده يسبح فى الهواء ، متجهًا نحو السطح ..

وبكل ذعرها ، هتفت :

- لا تبتعد يا (وصفى) .. لا تبتعد قبل أن نطمئن عليه .

ولكن (وصفى) ارتفع بالهليوكوبتر ، وهو ينطلق بها مبتعدًا فى خط مستقيم ، قائلا فى توتر بالغ :

- لا يمكننى أيتها المقدّم .. إننى أطيع أوامر العميد (أدهم) لا يمكننى أبدًا ..

اتسعت عيناها عن آخرهما ، عندما رأته يهبط بحذائه المطاطى على السطح ، وسالت الدموع على وجنتيها ، وهى تكرّر فى ضراعة ..

- ساعده يا إلهى ! ساعده .

أما (أدهم) ، فقد هبط نحو السطح بسرعة كبيرة ، عبر عشرة أمتار من الهواء ، إلا أنه كان مدربًا جيدًا على الهبوط ، فى مثل هذه الظروف ..

وعندما ضمّ ركبتيه إلى صدره ، استعادت ذاكرته أيام حرب الاستنزاف ، قبيل حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ، عندما كانت طائرات الهليوكوبتر تحلق به وبرفاقه فوق رمال (سيناء) ، فيقفزون من ارتفاع كبير ، لتنفيذ مهامهم الانتحارية ، ضد العدو الإسرائيلى ..

ثم فرد قدميه ، ليتلقى صدمة الهبوط بحذائه المطاطى السميك ، قبل أن يترك جسده يتدحرج فى

خفة لعدة أمتار ، قفز بعدها واقفًا على قدميه على مسافة متر واحد من حافة السطح .

ولثوان لم يحرك (أدهم) ساكنًا ، وهو يرهف سمعه جيدًا ، ليطمئن إلى أن أحدًا لم ينتبه إلى هبوطه هذا ، ثم لم يلبث أن غمغم :

- استعد لاستقبالى أيها الوغد (أوكونور) ..

قالها وتحرك فى خفة نحو شعار المؤسسة على السطح ، ليثبت فيه ذلك الحبل السميك ، الذى سيستخدمه ليتدلى إلى حجرة (أوكونور) ..

ولكن فجأة ، انتبه إلى أن الأرض تحت قدميه أكثر خشونة مما ينبغى ، فانحنى يفحصها فى اهتمام ، ولم يكد يفعل حتى انعقد حاجباه ، وهو يقول :

- رباه ! إنها شبكة من خيوط الصلب .

استوعب عقله الأمر دفعة واحدة ، فاعتدل فى سرعة ، وتراجع بحركة حادة ، و ..

ولكن سرعته لم تكن كافية هذه المرة ..

فبسرعة مذهلة ، ارتفعت أطراف تلك الشبكة ، وجذبتها أحبال من الصلب ، تمتد من قمة الشعار ، لتحيط بجسده ، وتحمله إلى أعلى ، قبل أن يرتطم جسده بالشعار فى عنف ..

وفى اللحظة التالية مباشرة ، برز عشرة رجال ، من مكان خفى داخل الشعار ، وأحاطوا بالشبكة ، إحاطة السوار بالمعصم ، وهم يصوبون مدافعهم الآلية إلى (أدهم) مباشرة ، واندفع (بيركينز) من المكان نفسه ، هاتفاً :

- لقد فعلناها .

وفى هدوء ورصانة ، برز (أوكونور) ، من مدخل السطح الصغير ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ظافرة ، وهو يقول :

- كيف حالك الآن يا رجل المخابرات ؟! إننا فى انتظارك ، منذ وقت طويل .

قالها ، ثم تحوّلت ابتسامته إلى ضحكة طويلة مجلجلة ظافرة ..

ضحكة شيطان .

★ ★ ★

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى بإذن الله

(فوق القمة)

رقم الإيداع : ٣٦١٩